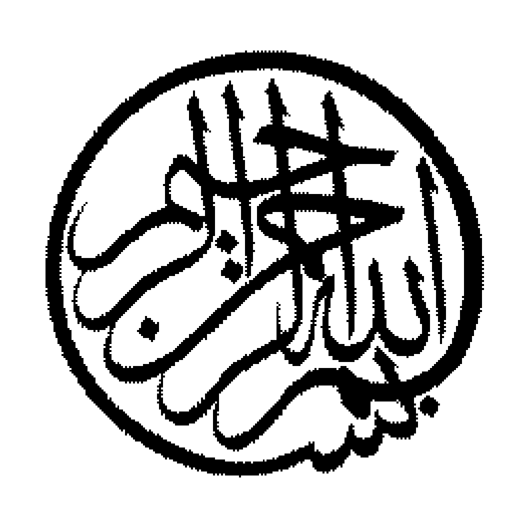


التنديـــد

بمن عَـــدَّدَ التّوحيـــد

إبطال مُحاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية

تأليف

حسن بن علي السقاف

الطبعة العاشرة

١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣هـ

مزيدة ومنقحة

٢١٤	حسن علي السقاف
حسن	التنديد بمن عدَّد التوحيد / حسن بن علي السقاف ـ عمان :
	دار الإمام النووي .١٩٩١ .
	(١٠٥) ص
	ر.أ(٤٨٧/ ٩/ ١٩٩١).
	ا. الإسلام ـ توحيد ٢٠ الإسلام ـ عقيدة
	أ. العنوان
	(تمت الفهرسة بمعرفة الكتب الوطنية)

دار الإمام النووي

طبع في بيروت

مُقَـــدِّمَــــة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عبده المصطفى ، سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أهل الوفا ، ومن لهم اقتفى .

أمـّا بعـــــد : فهذا جزء لطيف ، ومنـار منيف ، أثبتُّ فيه إبطال التثليث في تقسيم التوحيد إلى توحيد أُلوهيةٍ وتوحيد ربوبية وتوحيد أسماء وصفات ، حيث انتشر هذا التقسيم في هذا الزمان ، وقد دعاني إلى ذلك ما رأيتُ مِنْ بعض مَنْ كَتَبَ في التوحيد والعقائد إثبات هذا الفرق واستساغته تقليداً من غير استبصار بحقيقة الأمر والحال[١] ، وخصوصاً أنَّ هذا التقسيم لا يُعرف عند السلف البتة وإنّما اختُرِعَ هذا التقسيم وانتشر بعد القرن السابع الهجري[٢] ، فأَردت التنبيه عليه لئلاّ يغتـرَّ بهذا التقسيم أحدٌ من طلاّب العلم ، فنسأل الله تعالى لنا الإعانة ، فيما توخّينا من الإبانة .

ولا بُـدَّ لنا أيضاً من التنبيه على القسم الثالث للتوحيد وهو : (توحيد

---

(١) ومع أن هذا التقسيم تقسيم وهابي ـ أي أنه من صنع المجسمة والمشبهة ولو كان قبل ولادة ابن عبدالوهاب النجدي ـ فقد انغرَّ به بعض الأشاعرة المساكين وخاصة من الدكاترة الذين هم محدودو العلم والمعرفة ! فانساقوا وراء هذا التقسيم وبعضهم أَلَّف في العقائد وذكر هذا التقسيم مستحسناً له وهو لا يدري أنه من فكر خصومه الذين يخالفونه في الرأي ! بل تمحَّل عند مراجعته في ذلك بأنه تقسيم تعليمي مفيد ! والرجوع إلى الحق فضيلة !

(٢) والظاهر أن ابن بطة العكبري ـ وهو حنبلي مجسم مجروح العدالة ووضاع ـ هو أوَّل من ذكر هذا التقسيم المبتدع المُحْدَث وابن تيمية طوله وعرَّضه فقعَّده وأصله .

الأسماء والصفات) وبيان المراد منه عند مَنْ يقول به في هذه الرسالة المختصرة وبالله تعالى التوفيق .

(**فاعلم**) أنَّ تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة تقسيم غير صحيح، تكلم به بعض متأخري المصنِّفين منهم صاحب شرح العقيدة الطحاوية ــ ابن أبي العز المنسوب للحنفية خطأً ــ الذي ردّ على صاحب الكتاب الأصلي الإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله تعالى أثناء شرحه على كتابه ـ متن الطحاوية ـ في التوحيد فزيّف ابن أبي العز بعض كلام الإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى، وظهر بثوب الدعوة إلى مذهب السلف الصالح، فخالف حقيقةً صريح الكتاب والسنة والإجماع وعقيدة أهل السنة والجماعة الوارد في كلام الإمام أبي جعفر الطحاوي ، وظن الساعون في نشر هذا الشرح للطحاوية والمروِّجون له أنهم يستطيعون أنْ يُقنعوا الناس بأنه يُمَثِّل عقيدة الإسلام الحقة حيث ستروا وغطوا مالم يعجبهم من عقيدة الطحاوي رحمه الله تعالى وهي عقيدة ممنية على التنزيه ومتلقاةٌ بالقبول وتُمَثِّل عقيدة أهل السنة من أهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية بهذا الشرح المشحون بالأخطاء والمغالطات المختلفة المتنوعة ! وكما قيل :

لا يَضُرّ الفَضْل إقلالٌ كما لا يَضُرُّ الشمس إطباق

وقد نص ابن أبي العز في شرحه المذكور على التقسيم فقال[٣] :

---

(٣) انظر « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز ، بتخريج الألباني ، وتوضيح

« فإن التوحيد يتضمّن ثـلاث أنـواع : **أحدهمـا** الكـلام فـي الصفـات ، **والثاني** : توحيد الربوبية ، وبيان أنّ الله وحده خالق كـل شـيء ، **والثـالث** : توحيد الإلهية وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يُعْبَد وحده لا شـريك لـه » اهـ .

فلنبدأ بإثبات تحقيق عدم وجود هذا التقسيم وتفنيد هذه العبـارة فنقـول وبالله تعالى التوفيق :

تمهيـــد (٤)

لقد أرسل الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليـه وآلـه وسـلم بكلمـة التوحيد (لا إله إلاّ الله محمـد رسـول اللـه) وحـث عليهـا ووعـد قائلهـا ومعتقدها الجنة ، وقد وردت بذلك الآيات والأخبار الصحيحة ، منهـا قـول الله تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ** ﴾ سورة سيدنا محمـد : ١٩ ، ومنهـا قولـه تعالى : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَـعِيرًا** ﴾ الفتح : ١٣ ، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « مـن شـهد أن لا إلـه إلاّ اللـه

الشاويش المقرَّين لما فيها جملة وتفصيلاً ، طبع المكتب الإسلامي ، الطبعـة السادسـة ص (٧٨) .

(٤) لقد استفدت كثيراً في مباحث الرد على تقسيم التوحيد الذي أحدثه ابن تيمية مـن كتاب « براءة الأشعريين من عقائد المخالفين » للعلامة الكبـير محمـد العربـي التبـاني رحمة الله تعالى ، والذي وضع اسمه على غلاف الكتاب باسم أبي حامد بـن مـرزوق لظروف خاصة ، ولـم يمنعـه ذلـك مـن الإدلاء بقـول الحـق وبيـان مـا يعتقـده إنقـاذاً للمسلمين من ضلال عقائد المشبهة والمجسمة .

وحده لا شـريك لـه ، وأنَّ محمـداً عبـده ورسـوله ، وأنَّ عيسـى عبـد اللـه ورسوله وكلمته[٥] ألقاها إلى مريم وروح منه[٦] ، والجنة حق والنـار حـق ، أدخله الله الجنة على ما كان مـن عمـل » رواه البخـاري (٦/ ٤٧٤ فتح/ ٣٤٣٥) ومسلم (١/ ٥٧ برقم ٢٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أُمرتُ أنْ أُقاتل الناس حتى يشـهدوا أن لا إلـه إلاّ اللـه وأنـي رسـول اللـه ، فـإذا قالوهـا عصمـوا منّـي دمـاءهم وأموالهم إلاّ بحقها ، وحسـابهم علـى اللـه » رواه البخـاري (١/ ٧٥ فتح/ ٢٥) ومسلم (١/ ٥٣ برقم ٢١) .

فمن هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتضـح وضوحـاً جليـاً أنَّ الله سبحانه بيّن لنا أنّ التوحيد هو (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) ، ولم يذكر الله تعالى في كتابه ، ولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سـنته أنَّ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسـماء وصفات ، بل لم ينطق بهذا التقسيم أحد مـن الصحابـة ، بـل ولا أحـد مـن التابعين ، بل ولا أحد من السلف الصالح رضي الله عن الجميع .

بـل إن هـذا التقسـيم بدعـة خَلَفِيَّـةٌ مذمومـة حدثـت فـي القـرن الثـامن الهجري، أي بعد زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنحو ثمانمائة سـنة ، ولم يقل بهذا التقسيم أحد من قبل ، والهدف من هذا التقسيم عند مـن قـال

---

(٥) معنى (وكلمته ألقاها إلى مريم) أي : بشارته أرسلها بواسطة المَلَك إلـى السيدة مريم .

(٦) معنى (وروح منه) أي : منه خلقاً وتكويناً ، لا جزءاً منه .

به هو تشبيه المؤمنين الذين لا يسيرون على منهج المتمسلفين بالكفار ، بـل تكفيرهم بدعوى أنهم وحَّدوا توحيد ربوبية كسائر الكفـار بزعمهـم !! ولـم يوحّدوا توحيد أُلوهية ـ وهو توحيد العبادة الذين يدّعونـه ـ وبذلـك كفَّـروا المتوسلين بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو بالأولياء وكفَّـروا أيضـاً كثيـراً ممن يخالفهم في أمور كثيرة يرون الصواب أو الحـق علـى خلافهـا ، وكـل ذلك سببه ذلك الحرّاني ، وعلى ذلك سار شارح الطحاويـة ابـن أبـي العـز الملقب بالحنفي فخالف الإمام الحافظ الطحاوي الحنفـي فـي عقيدتـه فـي مواضع عديدة ! منها أنّ صاحب المتن الإمام الطحاوي ينفي الحد عن اللـه سبحانه والشارح يَرُدُّ عليه فيُثْبِتُ الحدَّ ! ومنها أن صاحب المتن ينفي الجهة وينزِّه الله سبحانه أن يوصف بهـا والشـارح يـرد عليـه فيثبتهـا ! حتـى قـال العلاّمةُ عليٌّ القاري الحنفي عن شارحها ابـن أبـي العـز فـي « شـرح الفقـه الأكبر » ص (١٧٢) بأنّه: « **صاحب مذهب باطل ، تابع لطائفة من المبتدعة**» .

ولا بُـدَّ أنْ نبطـل هـذا التقسيم للتوحيـد فـي هـذه المقدمـة الصغـيرة المتواضعة باختصار تلخيصاً للبحث الذي تحويه هذه الرسالة التي سنسـلك فيها طريقة خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ، فنقول وبالله التوفيق :

(أولاً) : لا يُعْرَف في الشرع اطلاق اسم موحِّد على مَنْ كَفَرَ ولو بجزءٍ من العقيدة الإسلامية وذلك بنص الكتاب والسـنّة ، بـل لا يجـوز أنْ نُقَـوِّل الشرع ما لم يقل ولم يَرِد ، فلا يحل لنا أنْ نطلق على مَنْ كـان يُقِـرُّ بوجـود الله ويُدرك أنّه هو الإله المستحق للعبـادة دون أن يذعـن ويدخـل فـي هـذا الدين بأنه موحِّد ، بل نطلق عليه أنه كافر ، بدليـل قـول اللـه تعـالى : ﴿ **مَـا**

نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّـهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّـهَ يَحْكُـمُ بَيْنَهُـمْ فِـي مَـا هُـمْ فِيـهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ الزمر : ٣.

فقد وصفهم الله تعالى بالكذب وبـالكفر ، بـل وصفهـم بصيغـة مبالغـة وهي : (كَفَّار) كما تقول : ضارب وضَرَّاب .

فكيف يقال إنّهم موحدون توحيد ربوبيـة واللـه تعـالى وصفهـم بـالكفر صراحة ؟!!

(ثانيـاً) : هؤلاء الكفار الذين كانوا يقولون فيما وصفهــم اللـه تعـالى بقوله : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ الزمر : ٣٨ و لقمان : ٢٥ ، والذيـن كـانوا يقولـون : ﴿ **مَـا نَعْبُدُهُـمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَـا إِلَـى اللَّـهِ زُلْفَى** ﴾ الزمر : ٣ ، ما كانوا يقرّون بتوحيد ربوبية لو سلمنا جدلاً بقسم توحيد الربوبية وما كانوا يقرون بوجود الله تعالى ، ولذلك أدلـة سأُوردها الآن إنْ شاء الله تعالى ، وإنمـا قـالوا ذلـك عنـد محاججـة النبـي ومجادلتـه إيـاهم وإفحامه لهم بالأدلة التي تثبت وجود الله تعالى وتبطل إلهية ما يعبدون مـن دون الله سبحانه .

فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم أنْ يجـادلهم ويناقشهم في عقيدتهم وباقي أمورهم الفاسدة ليثبت لهـم الحـق قـائلاً لـه : ﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ النحل :١٢٥ ، فلمّا كان صلى اللـه عليـه وآلـه وسلم يُثْبت لهم وجود الله ووحدانيته وأنْ لا إله إلاّ هـو سـبحانه ويُـلْزمهم بترك عبادة هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها ويسجدون لهـا مـن دون اللـه ،

كانوا يَتَحَرَّجون ولا يعرفون بماذا سَيُجيبون فكانوا يقولون عند سـؤال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم لهـم : مَـنْ خلـق السـموات والأرض ؟ : اللـه . وكانوا يتحججون قائلين ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ** ﴾ أي هذه الأوثان ﴿ **إلاّ لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلفى** ﴾ .

وهذا كذب صريح منهم لأنّهم ما كانوا يعتقدون بوجود الله الذي خلـق السموات والأرض البتة بدليل أنَّ الله أمرهم في القرآن الكريـم أنْ يتفكَّـروا في خلق السموات والأَرض ليعرفوا أنّ لها إلهاً خلقها وأَوجدها فيؤمنوا به ، قال تعالى : ﴿ **أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْـفَ خُلِقَـتْ ، وَإِلَـى السَّـمَاءِ كَيْـفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْـتَ مُذَكِّـرٌ ، لَسْـتَ عَلَيْهِـمْ بِمُسَـيْطِرٍ** ﴾ الغاشية : ١٧ ـ ٢٢ ، وقـال تعـالى : ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، إِنَّ فِي خَلْـقِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْـرِي فِـي الْبَحْـرِ بِمَـا يَنْفَـعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ البقرة : ١٦٣ ـ ١٦٤ .

فكانوا يَرُدُّونَ ما جاء في صدر هذه الآيـات الشـريفة قـائلين : ﴿ **أَجَعَـلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ سورة ص : ٥ ، ولوكانوا مُقرّين بـأنّ الله سبحانه هو خالق السموات والأرض وما فيهن ، لما ذكر الله لهم تلـك الآيات الآمرة بالتفكُّر في الإبل كيف خلقت وفي الجبال كيف نصبت وفـي الأرض كيف سطحت وفي السماء كيف رفعت .

فقولهم عند سؤال النبي لهم وقت إلْزامهم الحُجَّة في المناظرة : مَنْ خلق السموات والأرض ؟! فيقولون : الله . وقولهم ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ ما هو إلاّ كذب وكفر بنص القرآن الكريم ، حيث قال الله تعالى في آخر الآية : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ الزمر:٣، كما قال سبحانه : ﴿ **يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ** ﴾ التوبة : ٨ .

فلا يَحِلُّ ولا يجوز لإنسان أنْ يستنبط بعد هذا البيان من الآيتين : **مَا نَعْبُدُهُمْ ..** ﴾ و ﴿ **ولئن سألتهم ..** ﴾ أنهم كانوا مُوَحِّدين توحيداً يسمى توحيد ربوبية ، بل هذا استنباط معارض لنص القرآن الذي حكم عليهم بالكفر بل بالمبالغة بالكفر ، ومنه يتبين أنّه استنباط سطحي سخيف لا يقول به إلا من لم يَتَعَمَّق في فهم آيات القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقواعد علم التوحيد المَبْنِيَّة على الكتاب والسنة الصحيحة ، والذي يؤكد ذلك :

(ثالثاً) : أنَّ أولئك الكُفَّار اشتهر عنهم أنّهم كانوا يعبدون تلك الأصنام ويحجّون لها ويتقرّبون إليها ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ يس : ٧٤ ، ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى** ﴾ النجم ١٩ ـ ٢٠ .

بل واشتهر عنهم أنّهم كانوا يقولون : ماهي إلاّ أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر .

قال الله تعالى مخبراً لنا عنهم ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ**

وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[7] الجاثية : ٢٤ .

بل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أَحَدُهُم : ﴿ **مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ يس :٧٨ .

فهل يجوز لنا بعد هذا أن نَصِفَ مَنْ لا يُقِرُّ بأنّ الله خالق ومحيي بأنّه موحّد توحيد ربوبية والله تعالى يقول عنه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ ؟! الزمر : ٣ . بل بَلَغَ مِنْ كُفْرِهم ما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز إذ قال : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا** ﴾ الفرقان : ٦٠ ، فهل هؤلاء يقولون بوجود الرحمن الرحيم ؟!!

ولو كانوا يقرّون أنَّ اللَّه هو الخالقُ لما قال الله لهم : ﴿ **وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ المؤمنون : ٩١ ، وعبّر بالإله أيضاً ولم يعبِّر بالربِّ إشارة إلى أنهم لا يوحّدون لا الرَّب ولا الإله ولأن الرّب هو الإله ، والإله هو الرّب .

(رابعاً) : ابن تيمية الذي اخترع تقسيم التوحيد إلى أُلوهية وربوبية يقول إنَّ المشركين كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية دون الأُلوهية وأنّ المسلمين

---

(٧) والحق والواقع أن مَنْ ثلَّث التوحيد وقسمه إلى ثلاث أقسام أبطل ـ سواء قصد أم لا ـ وألغى مثل هذه الآيات الثابتة كالجبال في كتاب الله تعالى زيادة على قصده الباطل من هذا التقسيم الذي فيه عدّة مخالفاتٍ ومحظورات شرعية !!

الذين يخالفونه في آرائه كذلك وحّدوا ربوبيــة ولـم يوحّـدوا ألوهيـة ، فهـو يُكَفِّرُهُم بذلك ، وهذا مراده من هذا التقسيم .

قال في كتابه « منهاج السنة » (٢/ ٦٢) بعـد أن دمـج وخلـط بعـض أئمـة الإسلام كالسهروردي[٨] وأبي حـامد الغزالـي والـرازي والآمـدي وغـيرهم ممن يخالفهم في آرائهم من الفلاسفة كأرسطو طاليس والفارابي وابن سـينا ما نصه :

« دخلوا في بعض الباطل المبدع ، وأخرجوا مـن التوحيـد مـا هـو منـه كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسماء الله ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيـد الربوبية وهو الإقرار بأن الله خالق كـل شـيء وهـذا التوحيـد كـان يُقِـرُّ بـه المشركون الذين قـال اللـه عنهـم : ﴿ **وَلَئِـنْ سَـأَلْتَهُمْ مَـنْ خَلَـقَ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ لقمان : ٢٥.

وهذه مغالطة منه وتلبيس ، وهو كلام غلط كما بينّا .

وهل يَعْقِلُ عـاقلٌ أو يقـول إنسـان بـأنَّ فرعـون الـذي كـان مـن جملـة المشركين كان يوحّد ربوبيّة ولا يوحّد أُلوهية ؟!!.

وهو الذي يقول ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾ القصص : ٣٨ ، كما أنّـه

---

(٨) علماً بأن السهروردي من علماء أهل السنة والجماعـة ، وعنـه ينقـل أكـابر الأئمـة وعلماء الإسلام العقيدة ، فالإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ينقل عنه في « الفتـح » (١٣/ ٣٩٠ سلفية دار المعرفة) مذهب السلف الصـالح فـي الصفـات ويقـول عقـب ذلك : قال الطيبي : هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح اهـ .

هو القائل ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾ النازعات : ٢٤ .

ولو كان يُقِرُّ بالربوبية لما قال : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾ ، بل لقال (أنا إلهكم الأعلى) . ولو تذكّر ابن تيميّة قول الله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ الأعراف : ٧٦ ، وقول سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ **ءَأَربابٌ مُتَفَرِّقُون خَيْرٌ أَم اللَّهُ الواحدُ القَهَّار** ﴾ يوسف : ٣٩، وقول سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ **أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ**﴾ الصافات : ٨٦ ، مع قول الله عز وجل :﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً** ﴾ يس : ٧٤ ، وقول الكفار حينما دعاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى كلمة التوحيد ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا** ﴾ سورة ص : ٥ ، لاستحى أنْ يفوه بذلك !

ومن هذا الإيضاح والبيان يتبين بطلان تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام، بل يَتَّضِحُ أنَّ هذا التقسيم يعارض القرآن وعقيدة الإسلام ، فلا يصح أنْ يقال : هذا تقسيم تعليمي ، بل يجب أن يقال هذا تقسيم مغلوط معارض للقرآن الكريم .

ويجب أَنْ يعلم كل أحدٍ أنّ شرح الطحاوية يحوي هذا الخطأ وهذه الأغلاط المتناقضة ! وأن التعويل على مثل هذا الكتاب واعتماد تدريسه ما هو إلاّ خطأ جسيم لم يتنبّه له كثير من المدرّسين والطلاب فاحذروه واتقوه وإنّي لكم منه نذير مبين .

[تـنبيــه] : اعلم أن متن الطحاوية وهو الكتاب الذي صنفه الإمام أبـو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى ، كتاب صحيح مستقيم مـن أحسـن كتـب العقيدة التي تُمَثِّلُ اعتقاد السلف الصالح[٩] ! ولأنه أيضاً ـ أعني الطحاوي ـ ذكر في مقدمة ذلك الكتاب أنّه عقيدة الإمام الأعظم أبو حنيفـة رضـي اللـه عنه وصاحبيه محمد بن الحسن والقاضي أبي يوسف رحمهما الله تعالى .

وأما شرحه المنتشر في الأسواق لابن أبي العز ففيه أمور كثـيرة مخالفـة للكتاب الأصلي ـ متن الطحاويّة ـ ، وفيه أيضـاً عقـائد فاسـدة كإثبـات قـدم العالَم بالنوع وتسلسل الحوادث إلى غير أوّل[١٠] ، وإثبات الحد لذات اللـه تعالى[١١] ، وإثبات الحرف والصوت لكلامـه سـبحانه[١٢] وقيـام الحـوادث بذات الله سبحانه[١٣] إلى غير ذلك مـن أخطـاء جسـيمة ، وأغـلاط أليمـة ، فتنبّهوا .

---

(٩) وإن كنا لا نوافقه على كل حرف وكلمة أو جملة أو مسألة فيه ! وقد أوضحت في شرحي للطحاوية بعد تصنيف هذه الرسالة بسـنين مـا الـذي أوافقـه فيـه ومـا الـذي لا أوافقه فيه والله الهادي .

(١٠) وذلك صفحة (١٢٩) من الطبعة الثامنة / المكتب الإسلامي .

(١١) انظر ص (٢١٩) من شـرح الطحاويـة ، وقـد رددنـا هـذا وأبطلنـاه فـي رسـالتنا « التنبيه والرد على معتقد قدم العالم والحد » فارجع إليها .

(١٢) انظر ص (١٦٩) من شرح الطحاوية .

(١٣) انظر ص (١٧٧) من شرح الطحاوية .

فصـــل مهم

بيان أنَّ مَنْ اعترف بوجود اللّه ولم يُوَحِّدْهُ فهو كافر إجماعاً ولا يُسمّى موحداً توحيد ربوبية بنص القرآن الكريم

وتنزّلاً مع بعض أصحاب العقول ذات التفكير السطحي الضحل وعلى سبيل الجدل المنصوص على جوازه في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ النحل : ١٢٥ ، أقول : هب أن هناك قسماً من الجاهليين أو من أيِّ طائفة من طوائف الكفار فيها أشخاص يقرّون ويعترفون في غير مجال المضايقة في المناظرة ، بأنَّ الله هو الخالق المحي المميت ، فإنّ هذا الإقرار منهم أو هذه المعرفة لا تجعل صاحبها يُسمّى أو يطلق عليه مؤمناً أو موحِّداً لا شرعاً ولا لغة ولا عرفاً البتة ، أما شرعاً فلأدلةٍ منها قوله تعالى : ﴿ **أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ الزمر : ٣ ، فقد صرّح هذا النص لنا بأَنَّ الواحد من أولئك مع قوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ وتسليمنا جدلاً بأنَّه مُقِرٌ بقلبه أي بأنّه معترف بوجود الله !! وهو ما يُسَمِّيه الخصم (توحيد الربوبية) ومع ذلك كلَّه أطلق عليه اللـه تعالى في كتابه كما ترون بأنه ﴿ **كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ .

وأما اللغة والعرف فلم يَرِدْ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سُنَّتِهِ الواسعة أنه سمّاهم مُوحّدين للربوبية ، ولم يُنْقَل عن أحدٍ

من الصحابة أنه قال في حقهم أو عنهم (إيمان دون إيمان) مثل ما نقل عن بعضهم كابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره أنه قال في بعـض الأُمـور (كفرٌ دون كفر) وهذا مما يُؤَكِّدُ لنا ويدلُّ بأنَّ اللغة التي كان صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ينطقون بها والعرف الـذي كـان سـائداً بينهـم يمنعـان إطلاق موحِّد أو توحيد ربوبية على ذلك الإنسان .

ثُمَّ إنَّ الإيمان والتوحيد والعقيدة هو (ما وَقَرَ في القلب وصدّقه العمـل) وتعريف الإيمان والتوحيد واضح من حديث سيدنا جبريل في السـؤال عنـه الذي رواه مسلم ، وظاهر في كتب التوحيد التي نصَّت علـى أن الإيمـان أو الدخول في التوحيد هو (الإتيان بالشهادتين لساناً مع الإقرار القلبي بكل ما جاء عن الله تعالى ورسوله مع الإذعـان) فـأين ذلـك مـن هـذا ؟! وبذلـك اتَّضح جلياً بطلان ما ذهب إليه المخالف وادّعاه ، والله الموفق .

وأما القسم الثالث من التوحيد وهو ما سموه بتوحيد الأسماء والصفات

فقد أشار إليه وذكره ابن تيمية في منهاج سنته (٢/٦٢) باسم (إثبات حقائق أسماء الله وصفاته) والمراد من هذا القسم إثبات التشبيه والتجسيم وبيان أنه غير مذموم ، ولا تستعجب أخي القارئ من ذلك ، واصبر فإنّني سأنقل لك ذلك من كتب ابن تيمية مثبتاً رقم المجلد والصحيفة .

قال ابن تيمية في كتابه « التأسيس » (١/١٠١) : « **وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم وأن صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ؟! فنفي المعاني الثابتة بالشرع والعقل بنفي ألفاظ لم يَنْفِ معناها شرع ولا عقل ، جهل وضلال** » اهـ .

وابن تيمية يقول كما هو ثابت عنه في كتبه وكما هو مشهور : (لا نَصِفُ اللّه إلاّ بما وَصَفَ به نفسه) !!

فنقول له : إذا كنتَ لا تصف الله تعالى إلاّ بما وصفَ به نفسه فلماذا تُثْبت استقرار الله تعالى عمّا تقول على ظهر بعوضة وتُجوِّزه ؟! هل هذا هو توحيد الأسماء والصفات أيها الشيخ الحرّاني ؟! وهل هذا مما وصف الله به نفسه ؟!

قال ابن تيمية في كتابه « التأسيس في رد أساس التقديس » (١/٥٦٨) : « **ولو قد شاء ـ الله ـ لاستقرَّ على ظهر بعوضةٍ فاستقلَّت به بقدرته ولطف**

ربوبيته فكيف على عرش عظيم » اهـ .

فهل من التوحيد الخالص أيها الشيخ الحرّاني ويا مَن تتعصبون لآرائه الشاذة أن تجوِّزوا استقرار رب العالمين سبحانه وتعالى عما تصفون على ظهر ذبابة أو بعوضة ؟! ولقد استحى عُبّاد الأوثان والمشركون أن يصفوا آلهتهم بذلك !!

وهل من توحيد الأسماء والصفات إثبات الحركة لله تعالى كما يقول ابن تيمية في كتابه « موافقة صريح المعقول » (٤/٢) على هامش منهاج سنته وقد نسب ذلك لأهل الحديث والسلف زوروا ؟!!

وأين وَصَفَ الله تعالى نفسه في كتابه بلفظ الحركة ؟!

وابن تيمية يقول في كتابه « التأسيس » (١٠١/١) :

« وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم وأن صفاته ليست أجساماً وأعراضاً » اهـ .

ونقول له : بل في كتاب الله وفي سنة رسول الله وفي كلام السلف نفيٌ لذلك ، قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ الشورى : ١١ ، وقال : ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ الإخلاص : ٤ ، وهذا نص صريح في القرآن في تنزيه الله عن الجسمية والتركيب لأن الجسم له مُكافئ ومُماثل ، ولا يصح أن يقال فيه ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ .

وأما السُّنَّة : فقد روى الإمام الحاكم في « المستدرك » (٥٤٠/٢)

والترمذي (٣٣٦٤) عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه : أن المشركين قالوا : يا محمد أنسب لنا ربك . فأنزل الله عَزَّ وجل : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾ قال : الصمد الذي : ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ لأنّه ليس شيء يولد إلا سيموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث وإنَّ الله لا يموت ولا يورث ، ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ قال : **لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء** » .

قال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وقال الذهبي : « صحيح » وسكت عليه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٣٥٦/١٣) . قلت : وهو صحيح[١٤] .

وسيأتي بعد صحيفة إن شاء الله تعالى عن الإمام أبي حنيفة ذم التشبيه ، وذكر الحافظ البيهقي في كتابه مناقب أحمد بن حنبل الذي هو من أئمة السلف ورؤساء المحدّثين رضي الله عنه ما نصه :

« أنكرَ أحمدُ على من قال بالجسم وقال إنّ الأسماء مأخوذةٌ من الشريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك **وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه خارج عن ذلك كله** ، فلم

---

(١٤) وقد ضعَّفه متناقض عصرنا في تعليقه على سنة ابن أبي عاصم ص (٢٩٨) برقم (٦٦٣) وأعلَّه بأبي جعفر الرازي !! والصواب أن أبا جعفر الرازي واسمه عيسى بن ماهان ثقة إلا فيما يرويه عن مغيرة فأحاديثه عن مغيرة فيها تخليط ؛ وهذا ليس منها ، انظر « تهذيب التهذيب » (١٢/ ٦٠) . وقد حررنا الكلام عليه في رسالة القنوت فارجع إليها إن شئت .

يجز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل » . انتهى بحروفه .

وهذا الكلام من الإمام أحمد ينسف كلام ابن تيمية نسفاً ، وابن القيم تلميذ ابن تيمية يثبت في كتاب « بدائع الفوائد » (٣٩/٤) أن الله يجلس على العرش ، ويُجْلِس بجنبه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا هو المقام المحمود[١٥] !

ويُثْبِتُ في كتابه « الصواعق المرسلة » أنّ لله ساقين ، وأنه إذا لم يذكر الله تعالى في كتابه إلاّ ساقاً واحدة فهذا لا ينفي أنه ليس له ساق أخرى فيقول ما نصه :

« هب أنّه سبحانه أَخبر أنَّه يكشف عن ساقٍ واحدةٍ هي صفة ، فمن أَين في ظاهر القرآن أنه ليس له سبحانه إلا تلك الصفة الواحدة ؟[١٦] وأنت لو سمعت قائلاً يقول : كشفت عن عيني وأبديت عن ركبتي وعن ساقي هل يفهم منه أنّه ليس له إلاّ ذلك الواحد فقط ؟ » اهـ .

فانظر إلى هذا التجسيم الصريح وإلى هذا الهراء والهَذَيان ص (٣١ ــ ٣٢) من « مختصر الصواعق المرسلة » (طبع مكتبة الرياض الحديثية) وانظر كتاب ((الصواعق المرسلة

---

(١٥) مع أنه ثبت في الصحيحين تفسير المقام المحمود بالشفاعة وارجع إلى تعليقنا على كتاب الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » ص (١٢٧) التعليق رقم (٥٣) .

(١٦) أعوذ بالله تعالى من هذا الهذيان !!!

على الجهمية والمعطلة)) لابن القيم (١/ ٢٤٥ طبع دار العاصمة الرياض) وابن القيم متعصب لذلك وسائر على قاعدة شيخه الحرّاني التي أسّسها له في كتابه « التأسيس » (١٠٩/١) حيث قال هناك :

« وإذا كان كذلك فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين » اهـ .

قلت : ليس كذلك ! وأبسط مثال لهدم هذا الكلام غير ما تقدّم قبل قليل أن الحافظ الذهبي ذكر في « سير أعلام النبلاء » (٢٠٢/٧) نقلاً عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال :

« **أتانا من المشرق رأيان خبيثان :** جهم مُعَطِّل ، **ومقاتل مُشَبِّه** » اهـ . وذكر ابن جرير الطبري في تفسيره في تفسير سورة الإخلاص عن أبي العالية وغيره من السلف أن الله تعالى ليس له شبيه ولا مثيل .

فخذ مجدك في التجسيم يا ابن القيم !! ولا يهمنّك المعارضون من أهل السنّة !! الذين تُلَقِّبهم بالجهمية والمعطلة !! وقد أَثْبَتَ ابن القيم أيضاً جَنْبَاً لله تعالى عمّا يقول واستنبط ذلك من قوله تعالى : ﴿ **يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ** ﴾ الزمر : ٥٦ ، ففي « الصواعق المرسلة » (١/ ٢٥٠) و « مختصر الصواعق » للموصلي (١/ ٣٣) ما نصه :

« هب أن القرآن دلَّ على إثبات جنب هو صفة ، فمن أين لك ظاهره أو باطنه على أنّه جنب واحد وشق واحد ؟ ومعلوم أنَّ إطلاق مثل هذا لا يدل على أنّه شق واحد ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمران بن

حصين : صلِّ قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإنْ لم تستطع فعلى جنب ، وهذا لا يدل على أنّه ليس للمرء إلاّ جنب واحد » . اهـ !!!

قلت : وهل يصح قياس الله سبحانه وتعالى بعمران بن حصين وتشبيهه به أيها العقلاء ؟! وهل يجوز أن يقول أحد من الموحّدين بأنّ لله جنباً ؟!

واللهِ ما الإتيان بمثل هذا الكلام في الصفات إلاّ رجوع للوثنية الأولى فـ ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ الصافات :١٨٠ !!!!

وإمَامُ ابن تيمية وقدوته في هذه الطامّات هو أبو يعلى الحنبلي(١٧) الذي كان يقول : « ألزموني ما شئتم إلاّ اللحية والعورة » أي في صفات الله تعالى !! كما نقل ذلك ابن العربي المالكي في كتابه « العواصم » (٢/٢٨٣) وهذا هو توحيد الأسماء والصفات الذي يريدونه والذي يحاولون إثباته وقد أثبتوا هذا التقسيم ليقولوا للناس :

إنّ هذه الصفات التي أثبتناها من أَنْكَر منها شيئاً فتوحيده ناقص وغير صحيح ، ويلزم من ذلك أنْ يكون كافراً ، ليهاب الناس من إنكار هذه الصفات التي ابتدعوها وأطلقوها على الله تعالى خشية أنْ لا يكونوا قد وحّدوا توحيد الأسماء والصفات . فتأمل .

---

(١٧) وقد رد على أبي يعلى هذا الحافظ ابن الجوزي في كتابه المشهور « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » وقد حققناه وعلقنا عليه وقدمنا له ما يشفي غليل طالب الحق .

وكتاب أبي يعلى في الصفات المسمى بـ « إبطال التأويل » فيه من الطامّات والعجائب ما يكفي لأيِّ لبيب أنْ يحكم على مصنّفه أنه ليس معه من الإسلام خبر كما قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » ، ولا معه من تنزيه الله شيء معتبر ، وقد طبع حديثاً جزء منه ، بتحقيق أحد البسطاء ، وهو دليل قاطع عند أي قارئ لبيب على الوثنية التي يدعو إليها هؤلاء باسم : توحيد الأسماء والصفات .

[تنبيه مهم جداً] : ومما يدل على أنَّ هؤلاء المتمسلفين أتباع ابن تيمية وابن القيم مجسمة أيضاً يسيرون على نفس نهج شيخيهما ، مؤلفاتهم المطبوعة والتي تثبت ذلك ، منها كتاب طُبِعَ حديثاً لمتمسلف وهابي يدعى (عبد الله بن محمد الدويش) اسم الكتاب « **المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال** » يُسَفِّهُ فيه الشيخ **(سيد قطب)** ويصفه بالابتداع وأنّه جهمي أَشعري معتزلي وإليك بعض ما يقول هذا المتمسلف :

١ ـ يقول ص (١٠) ما نصه : « فقد عاب ـ سيد قطب ـ قول أهل السنة والجماعة وهذا هو مسلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وسيجيء من كلامه ما يبين أنه سلك مسلكهم » اهـ .

٢ ـ ويقول ص (١٩) ما نصه : « وأقول قوله ـ سيد قطب ـ في التوجه إلى الله الذي لا يتحيز في المكان ، **هذا قول أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة** ، وأما أهل السنة والجماعة فلا يصفون الله إلاّ بما وصف به نفسه .. » .

ثم قال بعد ذلك بخمسة أسطر في نفس الصحيفة ذاماً أهل البدع بنظره ما نصه : « ومقصودهم بها نفي الصفات كالجسم والتحيز ..» اهـ **!!**

فهو يرى تبعاً لابن تيمية وابن القيم أنَّ من صفات الله تعالى الجسم والتحيز ، وأن كلام سيد قطب والأشاعرة الذين ينزهون الله عن التحيز والمكان ويقولون ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ الشورى : ١١ مبتدعة جهميون ، فالله حسيبه وحسيب هذه الطائفة .

وقد قال الإمام الحافظ القرطبي في كتابه « التذكار » في شأن المجسمه ص (٢٠٨) : « **والصحيح القول بتكفيرهم** إذ لا فرق بينهم وبين عُبّاد الأصنام والصور » اهـ .

وكذلك قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في « (المجموع) شرح المهذب » (٢٥٣/٤) . بل أجمعت الأمة على تكفير المجسمة كما هو معلوم .

٣ ـ صاحب كتاب « المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال » متمسلف وهابي يرى تضليل كل من خالف مشربهم ، يدل على ذلك أنّه يقول ص (١٣) :

« وقال الشيخ محمد بن الوهاب إمام هذه الدعوة قدّس الله روحه .. » **!!!** وأنّه حيثما ذكر ابن تيمية وصفه بشيخ الإسلام دون باقي العلماء ، فليتدبّر أولوا الأبصار وليستيقظ النائمون **!!**

[تكميل] :

يجدر بنا في هذا المقام أنْ نلفت نظر أهل العلم إلى أنَّ ابن أبي العز المنسوب للحنفيّة ، صاحب شرح الطحاوية الذي خالف عقيدة الإمام الحافظ الطحاوي ونصوصه قائل بالتفريق بين توحيد الأُلوهية والربوبية ، وأن المكتب الإسلامي الذي طبع ذلك الشرح بتوضيح الشاويش مديره ، وتخريج الألباني إمامه وشيخه سابقاً !! قد وضعوا صورة بعض صفحات مخطوطة شرح الطحاوية (الباطل) وتعمّدوا أنْ تكون تلك الصفحات هي التي ذكر فيها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية (انظر ص (٦٤) من الطبعة الثامنة) ثمَّ إن موضحها الشاويش ، ومحققها !! ومخرج أحاديثها !! الألباني وضع على الغلاف الداخلي كلام الإمام الحافظ السبكي في قوله عن عقيدة الطحاوي : « جمهور المذاهب الأربعة على الحق يُقِرُّون عقيدة الطحاوي التي تلقّاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول » ليوهما البسطاء أنَّ هذا الثناء من الإمام الحافظ السبكي يشمل أيضاً شرحها الذي صنّفه ابن أبي العز المنسوب للحنفية ، والحق خلاف ذلك وهذا منهما تدليس وقلب من أوجه :

(الأول) : أنَّ هذا الشرح كُتِبَ بعد وفاة الإمام السبكي .

(الثاني) : أنَّ الإمام السبكي رحمه الله تعالى لا قيمة لكلامه عند هؤلاء المتمسلفين لأنه أشعري العقيدة ، ولأنه لا يحب ابن تيمية ويعرف حقيقة أمره وفداحة غلطه وهو مُحَذِّرٌ منه .

فإيرادهما لكلام الإمام الحافظ السبكي هنا هو لإيهام البسطاء والمبتدئين وأنصاف المتعلّمين أنَّ الإمام السبكي يثني على هذا الشرح الذي صنّفه ابن أبي العز المليء بمخالفات عقيدة الإسلام ، كقِدَمِ العالَم بالنوع ، وإثبات حوادث لا أوّل لها ، وقيام الحوادث بذات الله تعالى وإثبات الحد له تعالى والجهة وغير ذلك ، وفعلاً انطلى هذا التمويه على كثير من الناس وراج الكتاب بسبب ذلك وخصوصاً :

(**الثالث**) : أنَّ الناشر ـ الشاويش ـ قام بأمر شيخه ! وإمامه ! سابقاً !! الألباني بالتلاعب في ص (٥) من الطبعة الثامنة في الحاشية **حيث لم ينقل كلام الإمام الحافظ السبكي بتمامه وبحروفه بل حرّفه** وحذف منه ما سيكون وبالاً عليه عند الله تعالى ، ولننقل ما ذكره الناشر هناك ، ثم نردفه بكلام الإمام السبكي من كتابه « معيد النعم » : قال الناشر[١٨] : كلمة العلامة السبكي في كتابه « معيد النعم » هي : « وهذه المذاهب الأربعة ــ ولله الحمد ــ في العقائد واحدة ، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم ، وإلاّ فجمهورها على الحق يُقِرّون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول » اهـ . والإمام السبكي يقول حقيقة في كتاب « معيد **النعم** » ص (٦٢) من طبعة مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى (١٩٨٦) **ما نصه** :

« وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية **وفضلاء الحنابلة** ـ ولله الحمد ــ في العقائد يدٌ واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة ، **يدينون الله**

---

(١٨) وبصراحة لا يحمل إثم هذا العمل الناشر فحسب إنما يحمل إثم ذلك شيخه المتناقض ! الذي كان يملي على الناشر هذه الافكار .

تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله ، لا يحيد عنها إلاّ رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال **ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم** ، وبرَّأ الله المالكية فلم نرَ مالكياً إلاّ **أشعرياً عقيدةً ، وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقّاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة** ... » اهـ .

فتأمَّل بالله عليك كلام الناشر الذي زوّر كلام الإمام الحافظ السبكي وحرّفه ، ثم انظر وتأمل في كلام الإمام السُّبْكي الحقيقي الذي نقلته لك من كتابه « معيد النعم » لتدرك أنَّ هؤلاء المتمسلفين محرِّفون محترفون عاثوا في كتب التراث وعبارات علماء الإسلام فساداً وإفساداً **!!**

(الرابع) : والذي يؤكّد أنهم محرّفون وخصوصاً ناشر الطحاوية وكذلك مُخَرِّج أحاديثها **!!** المتناقض **!!** أنّ الناشر الشاويش حقق بزعمه كتاب « الرد الوافر » لابن ناصر الدين الدمشقي الذي رد فيه على الإمام العلاّمة العلاء البخاري رحمه الله تعالى ، ونقل الشاويش في مقدمة تحقيقه للكتاب المذكور ترجمة العلاء البخاري وأفرط في ذمّه **!** ونقل جزءاً من ترجمته من كتاب « الضوء اللامع » للحافظ السخاوي فحرّف في النقل حيث قال واصفاً العلامة العلاء البخاري بقوله : **(وكان شديد الالتصاق بالحُكّام) !!!**

علماً بأنَّ الكلام الأصلي في كتاب « الضوء اللامع » (٩/ ٢٩١) للسخاوي هو : « وإذا حضر عنده أعيان الدولة **بالغ في وعظهم والإغلاظ عليهم** بل ويراسل السلطان معهم بما هو أشد في الإغلاظ ويَحُضُّه على إزالة أشياء

من المظالم » اهـ فتأمل كيف قَلَبَ (وكان شديد الإغلاظ على الحُكَّام) ١٨٠ درجة رأساً على عقب فقال :(كان شديد الالتصاق بهم) فالله تعالى المستعان !! وقد راجعت الشاويش بهذه المسألة وأَثْبَتُّ له أن هذا العمل دالٌّ على الخيانة وفقدان الأمانة العلمية فوعد بالتراجع وتصحيح عبارة (كان شديد الالتصاق بالحُكَّام) في الطبعة الجديدة ونحن بالانتظار[١٩] .

وسنعقد الآن إن شاء الله تعالى فصلين : **الأول** : في إبطال تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية ، **والثاني :** في إبطال القسم **الثالث** وهو توحيد الأسماء والصفات مُنَبِّهين على المحاذير والأخطار من هذا التقسيم فنقول :

---

(١٩) وقد رأيت حديثاً الطبعة الجديدة ولم أر فيها تراجعاً إلى الحق وهذا ممّا يدل على إصرار أهل هذه النحلة على الباطل !! ومن تحريف المتمسلفين أيضاً وعياثهم في كتب العلماء وتراث الأمة فساداً أنهم قاموا بطباعة كتاب « الأذكار » للإمام النووي طبعة جديدة وهي طبعة « دار الهدى ! » الرياض ، بإشراف « إدارة هيئة البحوث والدعوة والإرشاد » ١٤٠٩ هـ ، فبدّلوا في كلام الإمام النووي ، وحرفوا منه قسماً كما حذفوا منه ما لم يمكنهم تحريفه مما لا يوافق أهواءهم ومشربهم ! وذلك في كتاب الحج من « الأذكار » في فصل ما يتعلق بزيارة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذي يتحمل جُلّ المسؤولية في ذلك أَمَامَ الله تعالى هو عبد القادر الأرنأووط الذي حقق الكتاب وخرّج أحاديثه وعلَّق عليه كما هو ثابت على غلاف الكتاب وقد انغرَّ بهذا الشخص (الألباني المشرب) الوهابي العقيدة بعض المغفلين لما يُظهر لهم من حلاوة لسان كما جاء ﴿ **يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ** ﴾ التوبة : ٨ ومثله مضارعة الآخر !! وقد قابلت عبد القادر الأرنأووط وكلمته في ذلك بمنزله بدمشق فحاول التبري من ذلك ! وقال بأن المسؤول عن هذا التحريف الدار التي قامت بطبع الكتاب في الرياض !

فصــــل
في إبطال تقسيم التوحيد إلى ربوبية وأُلوهيّة

اعلم أن العبادة شرعاً هي غاية الخضوع والتذلل لمن يعتقد الخاضعُ فيه أَوصاف الربوبيــة ، وأَمَّـا فـي اللغـة فالعبـادة هـي الطاعـة ، والعبوديـة هـي الخضوع والذل ، والعبادة شرعاً غير العبادة لغة ، فلا يقال لمن خضـع وذلّ لإنسان إنه عَبَدَهُ شرعاً وهذا شيءٌ لا يختلف فيه اثنان ، فمن تذلل عنـد قـبر نبي أو وليٍّ وتوسلَ به لا يقال إنـه عبـده مـن دون اللـه تعـالى ، لانّ مُجَـرَّدَ النداء والاستغاثة والخوف والرجاء لا يُسمى عبادة شرعاً ، ودليل ذلك أُمور منهـا : الصـلاة ، فـالصلاة فـي اللغـة هـي التضـرع والدعـاء ، وأمّـا شـرعاً واصطلاحاً فهي أقوالٌ وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، فليس كل دعاء صلاة ولا يقال لمن دعا فلاناً بمعنى أنه طلب من فلان شـيئاً أنه صلى له فكذلك العبادة .

وأما الدعاء فليس جميعــه عبـادة إلاّ إذا دعونـا مَـنْ نعتقـد فيـه صفـات الربوبية أو صفة واحدة منها ، فقـول النبـي صلـى اللـه عليـه وآلـه وسـلم : « الدعاء هو العبادة » كما رواه الحاكم وغيره[٢٠] ليـس معنـاه أن كـل دعـاء

(٢٠) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٧١) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٣ الفكر) وأبـو داود (٢/ ٧٧ برقم ١٤٧٩) والترمذي (٥/ ٣٧٥ برقم ٣٢٤٧) وقال : حسن صحيـح . والنسـائي فـي الكبرى (٦/ ٤٥٠) وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨) وأبو نُعَيم في الحلية (٨/ ١٢٠) والطـبراني في « معجمه الصغير » (٢/ ٢٠٨ الروض الداني) والطبري في تفسيره (مجلـد ١٢/ جـزء ٢٤/ ص ٧٨) وابـن حبـان فـي صحيحـه (٢/ ١٢٤ دار الفكـر) والحـاكم فـي

عبادة كما سيتضح بعد قليل إنْ شاء الله تعالى ، وإنّما يكون الدعاء عبادة إذا كان لله أو لمن يعتقد الداعي أن للمدعو صفة من صفات الربوبية ، وقال بعض العلماء كما نقل المناوي في « فيض القدير » (٣/ ٥٤٠) : [إن معنى حديث « الدعاء هو العبادة » أي أن الدعاء هو من أعظم العبادة ، فهو كخبر « الحج عرفة » أي ركنه الأكبر ، فالدعاء له عدة معان منها النداء ، والنداء ليس عبادة وهذا المعنى موجود بكثرة في كلام العرب وفي القرآن الكريم فمن شواهده في كلام العرب قول الشاعر وهو : دثار بن شيبان النمري :

فقلت ادعي وأدعو إنَّ أَندْى ... لِصَوتٍ أَنْ يُنادي داعيان

وهذا البيت من شواهد النحاة على نصب المضارع بعد الواو بعد الأمر، كما صرح به الأشموني وغيره عند قول صاحب الألفية :

والواو كالفا إنْ تُفَدْ مفهومَ ... كلا تَكُنْ جَلْدَاً وتُظهرَ الجَزَعْ

ومعنى قوله (ادعي) نادي ، فهو خطاب لأُنثى وهي حليلةٌ لدثار ، ومعنى (أدعو) أُنادي أنا ، ومعنى (إنّ أندى) أي إن أبعد وأرفع للصوت أن ينادي داعيان ، أي مناديان ، فظهر من هذا البيت أن الدعاء عند العرب يأتي بمعنى النداء .

وأما في القرآن فمنه قوله تعالى : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا** ﴾ النور : ٦٣ ، أي لا تجعلوا نداءه بينكم كما ينادي بعضكم بعضاً ، باسمه الذي سماه أبوه ، فلا تقولوا يا محمد ولكن قولوا يا

« المستدرك » (١/ ٤٩١) وصححه وأقرّه الذهبي ، وفيه كلام وهو حديث معلل .

نبي الله ، ويا رسول الله ، مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض لقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ الحجرات : ٢ .

ويأتي الدعاء بمعنى العبادة وهو موجود في كلام العرب وفي القرآن الذي نزل بلغتهم الفصيحة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ** ﴾ فاطر : ١٣ ، أي والذين تعبدون من دونه ، وكقوله تعالى أيضاً : ﴿ **وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ** ﴾ يونس :١٠٦ ، أي ولا تعبد من دون الله مالا ينفعك ولايضرّك .

وللدعاء معنى آخر أيضاً وهو الاستعانة نحو قوله تعالى : ﴿ **وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ** ﴾ البقرة : ٢٣ ، ومن معانيه أيضاً السؤال كقوله تعالى : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ غافر : ٦٠ ، ومن معانيه أيضاً الثناء كقوله تعالى : ﴿ **ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ** ﴾ الإسراء : ١١٠ ، ومن معانيه أيضاً التسميه كقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ الأعراف : ١٨٠ ، أي سمّوه بها ، إلى غير ذلك من المعاني .

فاتضح أن مجرد النّداء أو الاستغاثة أو الاستعانة أو الخوف أو الرجاء أو التوسل أو التذلل لا يُسمّى عبادة ، فقد يتذلّل الولد لأبيه والجندي لقائده ويخافه ويرجو منه أَشياء فلا يسمى ذلك عبادة له باتفاق العقلاء ، وليس مجرّد النداء عبادة ، ولو كان هذا النداء لأموات ، ففي الصحيحين : أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأهل البئر واسمها القَلِيب ، التي أُلْقِيَ فيها جماعة من الكفار في بدر : « هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً

فإنّي قد وجدت ما وعدني الله حقاً » ، خاطب النبي كفار قَلِيب بـدر ، قـال عمر : يارسول الله كيف تكلّم أجساداً لا أرواح فيها ، قال : ما أنتم بأَسـمَعَ لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يـردّوا علـيَّ شـيئاً . رواه البخـاري (٣٠١/٧ فتح) ومسلم (٢٢٠٣/٤) .

وليس التوسل عبادة للمتوسل به إلى الله ، فقد علَّم رسـول اللـه صلـى الله عليه وآله وسلم الأعمـى أن يقـول : « اللهـم إنّـي أَتَوَجَّـهُ إليـك بنبيـك محمـد نبـي الرحمـة ، يـا محمـد إنـي أتوجـه بـك إلـى ربـي فـي حـاجتي لِتُقضى .. » الحديث وهو صحيح مشهور بيـن أهـل العلـم ، رواه الـترمذي (٥٦٩/٥) والبيهقـي فـي « دلائـل النبـوّة » (١٦٦/٦ ـ ١٦٨) والحـاكم (٣١٣/١) وصححه على شرطهما وأقرّه الذهبي وغيرهم بأسانيد صحيحة .

كما أن الاستغاثة أيضاً بمخلوق ليست عبادة له كما ثبت في الصحيحين « أن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينا هم كذلـك **استغاثوا** بآدم ثم بموسى ثم بمحمـد صلـى اللـه عليـه وآلـه وسـلم فيشـفع ليقضى بين الخلق » انظر « فتح الباري » (٣٣٨/٣) ، فما زعمه الجهلة أنَّ كُلَّ نداءٍ للميت عبادة له فهو من التخبط في الجهل القبيح .

وملخص ما مرَّ أن العبادة في اللغة هـي مطلـق الطاعـة والخضـوع لأي أحد كان بخلاف العبادة في اصطلاح الشرع فهـي غايـة التذلـل والخضـوع لمن يعتقد الخاضع له بعض صفات الربوبية ، فإذا فهمتَ ذلك علمت يقينـاً أن من أطاع أحداً وخضع لـه لا لاعتقـاده أنّ لـه بعـض صفـات الربوبيـة لا يسمى عابداً له شرعاً وإنْ كان الخضوع والتذلل لغير الله تعالى قد يحرم في

بعض صوره كما إذا كان لغنيٍّ لأجل غِناه ، لكنه لا يُسمّى عبادة شرعاً ، ولا يكون صاحبه مشركاً ، كما أفاد ذلك العلاّمة محمد حبيب الله الشنقيطي في كتابه « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم » .

ويوضح ذلك أيضاً أن نقول : إن العبادة شرعاً معناها الإتيان بأقصى الخضوع قلباً وقالباً ، فهي إذن نوعان قلبية وقالبية ، (فالقلبية) : هي اعتقاد الربوبية أو خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنفع أو الضر ونفوذ المشيئة لمن اعْتُقِد فيه ذلك ، (والقالبية) : هي الإتيان بأنواع الخضوع الظاهرية من قيام وركوع وسجود وغيرها مع ذلك الاعتقاد القلبي ، فإن أتى بواحد منها بدون ذلك الاعتقاد لم يكن ذلك الخضوع عبادة شرعاً ولو كان سجوداً ، وإنما قال العلماء بِكُفر مَنْ سَجَدَ للصنم لأنه أَمَارةٌ وعلامة على ذلك الاعتقاد ، لا لأنه كفر من حيث ذاته ، إذ لو كان كفراً لذاته ـ السجود ـ لما حَلَّ في شريعةٍ قط ، وقد حلّ كما هو معلوم في آيات كثيرة ، فكيف حل وهو كفر ، والله لا يأمر بالفحشاء ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ** ﴾ الأعراف : ٢٧ .

فقد كان كما هو معلوم السجود لغير الله عز وجل على وجه التحية والتكريم مشروعاً في الشرائع السابقة وإنّما حرم في هذه الشريعة ، فمن فعله لأحد تحية وإعظاماً من غير أن يعتقد فيه ربوبية كان آثماً بذلك السجود ولا يكون به كافراً إلا إذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له ، ويرشدك إلى ذلك قوله عز وجل في سيدنا يعقوب نبي الله عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وامرأته وبنيه حين دخلوا على سيدنا يوسف ﴿ **وَخَرُّوا لَهُ**

سُجَّدًا ﴾ يوسف : ١٠٠ ، قال ابن كثير في تفسيرها (٢/ ٥٩٧) : « أي سجد له أَبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلاً ، وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم ، إذا سلّموا على الكبير يسجدون له ، لم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام ، فحرم هذا في هذه الملّة » . انتهى المقصود منه .

ويوضح ذلك أيضاً أمره عز وجل الملائكة بالسجود لآدم ، فكان سجودهم له عليه الصلاة والسلام عبادة للآمر عز وجل ، وإكراماً لآدم عليه الصلاة والسلام .

ومن هنا نعلم أن تعظيم الكعبة بالطواف حولها وتعظيم الحجر الأسود باستلامه وتقبيله والسجود عليه ليس عبادة شرعاً للبيت ولا للحجر ، وإنما هو عبادة للآمر بذلك سبحانه وتعالى ، الذي اعتقد الطائف بالبيت ربوبيته سبحانه ، فليس كل تعظيم لشيء عبادة له شرعاً ، حتى يكون شركاً ، بل منه ما يكون واجباً أو مندوباً إذا كان ماموراً به أو مُرَغّباً فيه ، ومنه ما يكون مكروهاً أو مُحَرّماً ، ومنه ما يكون مباحاً ، ولا يكون التعظيم لشيء شركاً حتى يقترن معه اعتقاد ربوبية ذلك الشيء ، أو خصيصة من خصائصها ، فكل من عظّم شيئاً فلا يعتبر في الشرع عابداً له إلاّ إذا اعتقد فيه ذلك الاعتقاد ، وقد استقر في عقول بني آدم أن من ثبتت له الربوبية فهو للعبادة مستحق ، ومن انتفت عنه الربوبية فهو غير مستحق للعبادة ، فثبوت الربوبية واستحقاق العبادة متلازمان فيما شرع الله في شرائعه وفيما وضع في عقول الناس ، وعلى أساس اعتقاد الشركة في الربوبية بنى المشركون استحقاق

العبادة لمن اعتقدوهم أرباباً من دون الله تعالى ، ومتى انهدم هـذا الأسـاس من نفوسهم تبعه ما بُنِيَ عليه مــن استحقاق غـير اللـه للعبـادة ، ولا يُسَـلِّمُ المشركُ بانفراد الله تعالى باستحقاق العبادة حتى يُسـلِّمَ بـانفراده عـز وجـل بالربوبية ، وما دام في نفسه اعتقـاد الربوبيـة لغـيره عـز وجـل اسـتتبع ذلـك الاعتقاد في هذا الغير الاستحقاق للعبادة ولذلك كان من الواضح عند أولي الألباب أن توحيد الربوبية وتوحيـد الأُلوهيـة شـيء واحـد ولا فـرق بينهمـا وهما متلازمان لا ينفك أحدهما عــن الآخـر فـي الوجـود وفـي الاعتقـاد ، وتقسيم التوحيد إلى توحيد أُلوهية وربوبية باطل ، كما سـيتبين الآن إن شـاء الله تعالى، فمن اعترف أنه لا رب إلا الله كان معترفاً بأنه لا يستحق العبـادة غيره، ومن أقرَّ بأنّه لا يستحق العبادة غـيره كـان مذعنـاً بأنّـه لا رب سـواه ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله فـي قلـوب جميـع المسـلمين ، ولذلـك نـرى القرآن في كثير من المواضع يكتفي بأحدهما عــن الآخـر ، ويرتـب اللـوازم المستحيله على انتفاء أي واحد منهما ليستدل بانتفائهـا علـى ثبوتـه ، فـانظر إلى قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ الأنبياء : ٢٢ ، وقولـه تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَـا خَلَـقَ وَلَعَـلا بَعْضُهُـمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ المؤمنون : ٩١ ، حيث عبّر بالإله ولـم يعـبّر بـالرب وكذلـك فـي مثل قوله سبحانه : ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾ الأعراف : ١٧٢ ولـم يقل بالهكم ، وجـاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث : أنّ المَلَكين يقولان للميت في قبره : « من رَبُّك ؟ » ويكتفيـان بالسـؤال عـن توحيـد الربوبيـة ، ويكون جوابه بقوله : « الله ربي » كافياً ، ولا يقولان له إنّما عرفـت توحيـد الربوبية واعترفت به فقط ، ولم تعـترف بتوحيـد الألوهيـة ، ولا يقـولان لـه

ليس توحيد الربوبية كافياً في الإيمان .

وهذا خليــل اللـه سـيدنا إبراهيـم عليـه الصـلاة والسـلام يقـول لذلـك الجبار : ﴿ **رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ** ﴾ البقرة : ٢٥٨ ، فيجادل بأنّه كذلك يحيي ويميت، إلى أنْ حاجّه خليلُ الله بما يكذب دعوى ربوبيته فتندحض دعــوى استحقاقه للعبادة .

ويُثبت أنه لا فرق بين توحيــد الألوهيـة والربوبيـة أيضـاً أنّ اللـه تعـالى حكى عن فرعون أنّه قال مرّة : ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَـيْرِي** ﴾ القصص : ٣٨ ، ومرّة أخرى : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾ النازعات : ٢٤ ، فاتضح أنَّ الإله هــو الرب ، والرب هو الإله ولا فرق .

وبالجملة فقد أومأ القرآن الكريم والسنّة المستفيضة إلى تلازم توحيــد الربوبية والأُلوهية وأنَّ ذلك مما قرره رب العــالمين ، واكتفـى سـبحانه مـن عبده بأحدهما عن صاحبه ، لوجود هذا التلازم ، وكذلك اكتفى به الملائكة المقربون عند السؤال ، وفَهِمَ الناس هـذا التـلازم حتـى الفراعنـة الكـافرون بداهة ، ولم يقل أحد من السلف ولا من الصحابة ولا من التابعين بـالفرق ، وأن هناك توحيد ألوهية يغاير توحيد الربوبية ، ولم يُنْقل ذلــك التفريـق عـن واحدٍ منهم فضلاً عن نقله من الكتاب أو السنة ، حتى ابتــدع وتكلـم بذلـك ابن تيمية في القرن الثامن الهجري ، ولا عبرة بذلك قطعاً ، فما هذا التقسيم الذي يفتريه أولئك المبتدعة الخراصــون فـيرمون المسـلمين بـأنهم قـائلون بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة ـ أي الأُلوهية ـ وأنه لا يكفـي المسـلمين توحيد الربوبية في إخراجهم من الكفر وإدخالهم في الإسلام .

وينبغي لفت النظر أيضاً إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّـهُ ثُـمَّ اسْتَقَامُوا ..** ﴾ فصّلت : ٣٠ ، وهي في موضعين من كتـاب اللـه تعـالى ، ولـم يقل إلهنا بل قال ـ ربنا الله ـ ، وقول رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم لمن سأله عن وصية جامعة : « قل ربي الله ثم استقم » ، ولم يقل لـه : قـل إلهي الله ثم استقم ، فاكتفى بتوحيد الربوبية فـي النجـاة والفـوز لاسـتلزامه وعدم مغايرته لتوحيد الأُلوهية ، وهذا بشهادة الله تعالى ورسوله كما ترى ، فمن رافقه التوفيق وفارقه الخذلان ونظر في المسألة نظر الباحث المنصـف علم يقيناً علماً لا تخالطه ريبة أنَّ مسمى العبادة شـرعاً لا يدخـل فيـه شـيء ممّا عداه ، كالتوسل والاستغاثة وغيرهما ، بل لا يشتبه بالعبادة أصلاً ، فـإنَّ كُلَّ ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقـاد الربوبيـة لذلك المعظم أو صفة من صفاتها الخاصّة بها .

ألا ترى الجندي يقوم بين يدي رئيسه ساعة وساعات احتراماً لـه وتأدبـاً معه ، فلا يكون هذا القيام عبادة لرئيسه لا شرعاً ولا لغـة ، ويقـوم المصلّـي بين يدي ربه في صلاته بضع دقائق قدر قراءة الفاتحة ونحوها ، فيكون هـذا القيام عبادة شرعاً ، وسر ذلك أنّ هذا القيام وإنْ قَلَّتْ مسافته مقترناً باعتقـاد القائم رُبوبية مَنْ قام له .

ولم يأت عن واحد من الأئمة الأربعة أو غيرهم من أئمـة السـلف ، ولا عن أتباع التابعين ولا عن التابعين ولا عن الصحابـة ، ولا عـن رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم في سُنَّته الواسعة في الصحاح والسنن والمسـانيد والمعاجم وغيرها أنَّ التوحيد ينقسم إلى توحيد ربوبية وإلى توحيد أُلوهية ،

وأنّ مَنْ لم يعرف توحيد الأُلوهية لا يُعْتَدُّ بمعرفته لتوحيد الربوبية .

وأما قوله تعالى ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ الزمر :٣٨ وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ** ﴾ المؤمنون ٨٦ ــ ٨٧ ، معناه أنهم يقولون ذلك إذا سألتهم عند ظهور الحجج القاطعات عليهم والآيات البينات ، وذلك مجرد قول بألسنتهم وليس ذلك في قلوبهم ، لأنهم ما كانوا يقرّون بوجود الخالق خلافاً لمن زعم أنّهم كانوا موحدين توحيد ربوبية ، وخلافاً لمن زعم أنّ الرسل لم يُبْعَثوا إلا لتوحيد الأُلوهية ، وهو إفراد الله بالعباده وأنَّ توحيد الربوبية يعرفه المشركون والمسلمون مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ لقمان :٢٥ ، فهذا الزعم لا شك أنّه باطل لأنّ هذا الزاعم لبّس على البسطاء معنى الآية أو لم يفهمها هو ! وقد بينّا معناها : أنهم أقرّوا بألسنتهم فقط ، لذلك قال الله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ العنكبوت : ٦١ معناها كما قال القرطبي في التفسير (١٣/٣٦١) : « أي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي » .

معناه : أنّهم يقولون ذلك بألسنتهم فقط عند إقامة الحجج عليهم وهم في الحقيقة لا يقولون بذلك .

وأيضاً قال الله تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا** ﴾ العنكبوت : ٦٣ ، قال الإمام القرطبي : « أي جدبها وقحط أهلها ﴿ **لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ أي فإذا أقررتم بذلك فَلِمَ تشركون به

وتنكرون الإعـادة ﴿ **قُـلِ الْحَمْـدُ لِلَّـهِ** ﴾ أي علـى مـا أوضـح مـن الحجـج والبراهين على قدرته ﴿ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ » انتهى من القرطبي .

فإذا تَنَبَّهْتَ لمعنى هذه الآيات وأمثالها عرفتَ بأنهـا ليسـت دليـلاً علـى أنّهم كانوا يُقرّون بتوحيـد الربوبيـة كمـا يتوهـم بعـض النـاس ، لأنَّ القـرآن وواقع هؤلاء الكفار يبين أنّهم كانوا ينكرون الخالق وينكرون السـجود لـه ، كما سيأتي الآن إنْ شاء الله تعالى في ذكر الآيات الموضحة لذلك ، وكـانوا ينكرون البعث ويعتقدون التأثير والتدبير لغير الله فيقولـون : (أُمطرنـا بنـوء كذا ونوء كذا) ولو كانوا يقرون بتوحيد الربوبية كمـا زعـم الخرّاصـون لمـا قال لهم المولى سبحانه : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾ البقرة : ٢١ ، بل كان اللازم أن يقول لهم : ـ أُعبدوا الهكم ـ قـال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَـاجَّ إِبْرَاهِيـمَ فِـي رَبِّـهِ** ﴾ ... الآية البقرة : ٢٥٨ ، وكان اللازم على زعم مـن قـال : إنّ النمـرود كـان يعـرف توحيـد الربوبيـة ويجهل توحيد الأُلوهية ، أن يقول الله تعالى ـ أَلمْ تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في إلهه ـ وكان اللازم على زعمهم أنْ يقول الله تعـالى بـدل قولـه : ﴿ **ثُـمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ الأنعام : ١ ، أن يقول : ـ بالههم يعدلون ـ ولكن ذلك فاسد لأنهم لم يكونوا مُقِرِّين ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَـأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ يس ٧٨ ــ ٧٩ ، وقولـه تعـالى : ﴿ **أَلا يَسْـجُدُوا لِلَّـهِ الَّـذِي يُخْـرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ النمل : ٢٥ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي** ﴾ الرعد : ٣٠ ، فأمّا هم فلم يجعلوه ربـاً ، وقـال تعـالى

﴿ **ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ يوسف : ٣٩ ، وقال تعالى : ﴿ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ** ﴾ ـ أي يعبدون ـ ﴿ **مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ الأنعام : ١٠٨ ، وقد اشتهر إنكارهم للبعث أشدّ الإنكار ، وأنهم ما يهلكهم إلا الدهر ، وقد اشتهر ذلك في أقوالهم وأشعارهم ، حتى قال أحدهم :

أشَابَ الصغيرَ وأَفْنى الكبيرَ كَـرُّ الغداة ومَـرُّ العشي

واشتهر عنهم أنّهم كانوا يقولون : ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، فهل يقول عاقل في هؤلاء مع هذا الكفر الصريح أنهم موحدون توحيد الربوبية ؟!

ولو كانوا يقرون بتوحيد الربوبية عند إقامة الحجة عليهم ، فإنّ مجرد الإقرار به لا يسمى توحيداً عند علماء المسلمين ، ولو كان الإقرار بالربوبية توحيداً كما زعم الخرّاصون لكان تصديق عتاة قريش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتكذيبهم بآيات الله تعالى توحيداً ، ولا يقول بهذا عاقل ، قال تعالى : ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ الأنعام : ٣٣ ، ولو كان الإقرار بالربوبية توحيداً كما زعموا لكان علم عاد بالخالق مع تكذيبهم آياته ورسوله هوداً عليه السلام لمّا هدّدهم بالعذاب توحيداً زاجراً لهم عن قولهم ، كما أخبر الله عنهم : ﴿ **مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾ فصلت : ١٥ ، ولا يقول بهذا عاقل ، أيقولُ عاقلٌ في فرعون الذي قال ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾ النازعات : ٢٤ ، وقال ﴿ **يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾ القصص : ٣٨

وقوله : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ الشعراء : ٢٩، مع قوله : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ الشعراء : ٢٧ ، لمّا أجابه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عن سؤاله عن حقيقة رب العالمين قائلاً له : ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ الشعراء : ٢٤ ، وقوله له أيضاً : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ الشعراء : ٢٦ ، فهل يقال بعد هذا : إن فرعون كان يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الأُلوهية ؟!

فهذا التقسيم للتوحيد باطل غير صحيح ، وكل من قال به مخطئ .

وأما معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ يوسف : ١٠٦ فمعناه وما يؤمن أكثرهم بالله في إقرارهم بوجود الخالق عند إقامة الحجة والبراهين عليهم تُكَذِّبُهُ قلوبُهم ويكذّبه واقعهم ، فإيمانهم أمامكم عند إقامة الحجة والبرهان على وجود الله تعالى بأَلْسنتهم غير معتبر ولا مقبول عند الله تعالى ﴿ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ ﴾ التوبة : ٨ ، فهم كاذبون باتخاذهم آلهة يعبدونها غير الله ، أو باتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً ، أو اعتقادهم الولد له سبحانه والتعبير في هذه الآية في جانب شِرْكهم بالجملة الإسمية الدّالة على الثبوت والدوام الواقعة حالاً لازمة ، والتعبير في جانب إيمانهم أي إقرارهم بالجملة الفعلية الدّالة على التجدد دليل لغوي على أن شركهم دائم مستمر ، وأنّ إقرارهم بوجود الخالق الرازق المحي المميت مع ارتكابهم ما ينافي ذلك الإقرار من أقوالهم وأفعالهم وعبادتهم لغير الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ

دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ يس : ٧٤ ، لا يكون توحيداً ولا إيماناً لغـة ولا شـرعاً ، لأنَّ الإيمان في اللغة هو التصديق بالقلب مطلقـاً ، وفـي الشـرع تصديـق النبـي صلى الله عليه وآله وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة ، فقولهم عند إقامـة الحجة عليهم : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَـى** ﴾ الزمر : ٣ ، كـذب منهم ليبرئوا أنفسهم ، والله تعالى بيَّنَ أنّهم كاذبون إذ قال كما في آخر هـذه الآية : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ الزمر : ٣ .

ملاحظة مهمة : قد نقلت هذه البحوث في الكلام على توحيـد الربوبيـة والألوهية حرفياً مع بعض زيادات مـن كتـاب بـراءة الأشـعريين مـن عقـائد المخالفين للعلامة محمد العربي التباني رحمه الله تعالى .

ملحق جديد

والمقصود هنا : أن نبين بأن دعاء أو سؤال غير الله تعالى ليس شِرْكاً ولا كفراً ولا إثم فيه ، بل ولا هو مكروه كما يزعم من يقول بـأن دعـاء أي نداء الأموات أو غير الله تعالى كفر وشِرْك به سبحانه .

فالتوسل هو : أن يطلب الداعي من الله تعالى بمنزلة أو بجاه نبـي أو ولي أو مَلَك أو غير ذلك . **والاستغاثة هـي :** أن يتوجـه السـائل والداعـي بالخطاب إلى النبي أو غيره ممن يعتقد قربهم ومنزلتهم عند الله تعـالى أن يدعوا الله تعالى له في تحقيق غرضه ومقصوده .

ونقصد هنـا بيـان أن الاسـتغاثة ليسـت شـركاً ولا كفـراً كمـا يدَّعـي بعضهم، ومختصر إثبات ذلك أن معنى الدعـاء هـو السـؤال[٢١] ، ويجـوز شرعاً أن تسأل غير الله تعالى ، وذلك مثلاً بـأن تسـأل أخـاك أو ولـدك أو أباك أو صديقك أن يعينك في أمر من الأمور الدنيويـة أو الدينيـة ، والأمـر الذي لا يجوز في ذلك هو سؤال غير الله تعالى مع اعتقاد أنه إلـه أو رب دون الله تعالى .

---

(٢١) قال الحافظ ابن حجر فـي « فتـح البـاري » (١١/ ٩٤) : [والدعـاء الطلـب ، والدعاء إلى الشيء الحث على فعله ، ودعوت فلاناً سألته ، ودعوته استغثته ، ويطلق أيضاً على رفعة القدر كقوله تعالى ﴿ ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴾ ، كـذا قال الراغـب ، ويمكـن ردُّه إلـى الـذي قبلـه ، ويطلـق الدعـاء أيضـاً علـى العبـادة ، والدعوى بالقصر الدعاء] .

أما سؤال الأنبياء والأئمة والأولياء ونحوهم والدعاء عندهم فإنما هو ليدعوا الله لهؤلاء السائلين أو ليتوسل بهم السائلون إلى الله سبحانه ، فالداعون عند الأنبياء والأولياء أو الداعون لهم الطالبون منهم أن يدعوا الله تعالى ليقضيَ حوائجهم لا يعتقدون أنهم آلهة من دون الله تعالى ولا يعبدونهم، بل يعتقدون أنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وإذا لم يكونوا أحياء فإنهم يسمعون كلام من يطلب منهم ، وكل هذا لا يعارض الشرع وإنما هو مبني على أدلة ثابتة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، سواء قبلها المتمسلفون أم رفضوها .

فسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام مثلاً كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى ويبرىء الأكمه والأبرص وغير ذلك فلو سأله شخص من قومه أن يحيي له ميته لم يكفر مع أن إحياء الموتى خصيصة من خصائص الألوهية، لكن لما اعتقد ذلك الشخص الطالب أنه ليس إلهاً ولم يعبده لم يكن ذلك كفراً ولا شركاً ولا منابذاً للتوحيد . قال تعالى حكاية عن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ **قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ آل عمران : ٤٩ .

فإذا جاز أن يعطيَ الله تعالى هذه الخصائص بإذنه لبعض خلقه وعبيده مثل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الذي هو عبد فقير لله تعالى فَلِمَ يمنع هؤلاء بعض الخصائص مثل أن يسمع الموتى استغاثة من

يستغيث بهم في حاجته فيدعون الله تعالى له ؟ ونحن نقول بأن المستغيثين والمتوسلين بالأنبياء والصالحين من عباد الله تعالى لا يقصدون إلا أن يطلبوا منهم أن يدعو الله لهم ! فدعاء المستغيثين الأنبياء لقضاء حوائجهم إنما هو لاعتقادهم بعظيم منزلتهم عند الله تعالى وهم لا يعبدون إلا الله ولا يعتقدون أن هناك إلهاً غير الله تعالى ، وهذا خلاف حال المشركين الذين يعبدون الأصنام ويتخذونها آلهة من دون الله تعالى! فقد أخطأ المتمسلفون الذين يوردون الآيات النازلة في عبدة الأصنام والأوثان فيجعلونها في عباد الرحمن ويزعمون أنهم سواء !! ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً** ﴾ الكهف : ٥ !

ودليل المبتدعة في ادّعائهم بأن دعاء غير الله تعالى عبادة له وبالتالي فهو شِرْك وكفر هو : بعض الآيات التي يُذْكَر فيها لفظ الدعاء فيخلطون بين معاني الدعاء تدليساً ويضيفون لها حديث النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ »[٢٢] ، وَقَرَأَ ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ**

---

(٢٢) حديث ضعيف . رواه الترمذي (٢٩٦٩و٣٢٤٧و٣٣٧٢)، وأبو داود(١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وأحمد (٤/ ٢٦٧) ، وصححه الترمذي ، لكن النعمان بن بشير لا يثبت سماعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (٢٩/ ٤١٢) في ترجمة النعمان بن بشير : « وقال يحيى بن معين: أهل المدينة يقولون : لم يسمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل العراق يصححون سماعه منه » . قلت: أهل المدينة التي وُلِد فيها هم أعلم به منهم ، فيثبت بهذا أنه كان من صغار الصحابة وممن له رؤية دون سماع ، ولأنهم اختلفوا في عمره عند وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل كان عمره ست أو

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِـهِ ﴿ **دَاخِرِيـنَ** ﴾[٢٣] ، فيمزجـون مـا بيـن ظواهر بعض الآيات وهذا الحديث لِيُمَوِّهوا بذلك على الناس .

والمقصود بالحديث هنا ـ إن صحَّ ـ أن دعاء اللـه تعـالى مـن أعظـم العبادة[٢٤] ، وهذا ليس فيه أن دعاء (أي نداء) غير الله تعالى عبادةٌ سـواء كان المنادَى حياً أو ميتاً ولو كان الدعاء مع خضوعٍ وذلَّة ، فالولد مثلاً قـد يدعو أي يسأل أباه شيئاً وهو يخاطبه مُبجِّلاً ومُعظِّماً إيّاه ، أو الطـالب مـع أستاذه وشيخه ، أو الجندي مع قائده ، ونحوهـم ، ولا يعتـبر ذلـك عبـادة لهم شرعاً ، كما لا يُعتبر السجود على الحجر الأسود واستلامه وتقبيله من الشرك والكفـر فـي شـيء ، وكذلـك سـجود إخـوة سـيدنا يوسـف وأبـوه

ثماني سنوات . وتجد الكلام عليه في التعليـق علـى النـص (٩٠) فـي كتـاب العلـو بتحقيقنا . وفي إسناد الحديث أيضاً يُسَيع الحضرمي الكندي وهو وإن وثقـه النسـائي إلا أنه لم يرو عنه إلا واحد وهو ذر الهَمْداني . وهذا يحكم على الحديـث أنـه ليـس بذاك . فلا يجوز أن يبنى عليه مثل هذا الأمر العظيم الذي يقوم على تكفير المسلمين الموحدين بدعوى أن لديهم خللاً في توحيد الألوهية المخترع .

(٢٣) لاحظ هنا أن ظاهر هذا النـص عـام وإن كـان عمومـه غـير مـراد ، والقَرْنيـون يحتجون به على أن من دعا غير الله تعالى فقد كفر وأشرك على وجه العمـوم ، دون أن يميزوا بين من يدعو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستغفر الله له أو ليدعو الله تعالى له بقضاء حاجة ، وبين من يعتقد أن النبي يقضي الحوائج من دون الله أو بغـير إذن الله تعالى .

(٢٤) وقد بيَّن الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١١/ ٩٤) معنـى هـذا الحديـث عند الجمهور فقال : [وأجاب الجمهور أن الدعاء من أعظم العبـادة فهـو كـالحديث الآخر « الحج عرفة » ، أي معظم الحج وركنه الأكبر] .

ـ النبي ـ عليهم الصلاة والسلام وأمه له على وجه التحية عبادة له ولا من الشرك والكفر كذلك[٢٥] ! وكذلك أَمَرَ اللهُ تعالى الملائكة بالسجود لسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام والله سبحانه لا يأمر بالفحشاء !

وقد بيَّن القرآن الكريم أن **دعاء** أي نداء غير الله تعالى ليس عبادة في مثل قوله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الطير اللاتي أمره أن يذبحهن: ﴿ ثُمَّ **ادْعُهُنَّ** يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ البقرة : ٢٦٠ ، وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا**

---

(٢٥) وما يتوهمه المتمسلفون بأن ما أذن الله تعالى به كتعظيم الحجر الأسود أو الكعبة المشرفة أو سجود آل سيدنا يوسف له لا يكون كفراً ولا شركاً وما لم يأذن الله به فهو كفر وشرك توهم فاسد مردود ! لأن الكفرَ كُفْرٌ في أي حال ولا يميزه هنا عن غيره إلا النية والقصد ! وقد روى عبدالله بن أبي أوفى قال : قَدِمَ مُعَاذٌ الْيَمَنَ ـ أَوْ قَالَ الشَّامَ ـ فَرَأَى النَّصَارَى تَسْجُدُ لِبَطَارِقَتِهَا وَأَسَاقِفَتِهَا فَرَوَّأَ فِي نَفْسِهِ (أي رأى ذلك وألزم نفسه به) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَحَقُّ أَنْ يُعَظَّمَ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْتُ النَّصَارَى تَسْجُدُ لِبَطَارِقَتِهَا وَأَسَاقِفَتِهَا فَرَوَّأْتُ فِي نَفْسِي أَنَّكَ أَحَقُّ أَنْ تُعَظَّمَ . فَقَالَ : « لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا » . رواه أحمد (٤/ ٣٨١)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٠١) ، وصححه الألباني في صحيحته (٣/ ٢٠٢أثناء تخريج الحديث ١٢٠٣) . ولم يقل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ما فعله من السجود كفر وشرك لأن معاذاً رضي الله عنه معترف بأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله ورسوله فلم يعبده ولم يتخذه آلهة ، وإنما نهاه صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وقال له لو كنت آمراً أحداً لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يقول ذلك لو كان كفراً !

وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ[٢٦] ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ آل عمران : ٦١، وقوله تعالى: ﴿ وَالرَّسُولُ **يَدْعُوكُمْ** فِي أُخْرَاكُمْ ﴾ آل عمران : ١٥٣ ، وكل نص جاء فيه النهي عن دعاء غير الله تعالى فالمراد به النهي عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى واتخاذه آلهة ، أما مجرد الدعاء الذي هو النداء سواء كان بطلب أم بغير طلب فإنه ليس من الشرك والكفر في شيء ، بل هو سنة مستحبة أحياناً يثاب المرء عليها، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُعَلّم من يزور القبور من أصحابه أن يدعو أصحاب القبور من الأموات أي يناديهم ويوجّه لهم الخطاب بالعبارة التالية: « **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية** »[٢٧] .

وفي رواية أخرى صحيحة كَانَ صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا أَتَى عَلَى الْمَقَابِرِ قَالَ : « **السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ** »[٢٨] .

---

(٢٦) روى مسلم في صحيحه (٢٤٠٤) ـ من جملةِ حديثٍ ـ عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : [لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ .. ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً فَقَالَ: « اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلِي »] .

(٢٧) رواه مسلم (٩٧٥) وغيره .

(٢٨) رواه النسائي (٢٠٤٠) وأبو نعيم في مستخرجه على صحيح مسلم (٣/ ٥٣) .

فخطاب الأموات ونداؤهم ـ أي دعاؤهم ـ ليس كفـراً ولا شـركاً ولا بدعة بل هو مستحب أحياناً ، خلاف ما يشيعه ويذيعه المبتدعة ، وقد ثبت أيضاً في الصحيحين من طرق عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى اللـه عليه وآله وسلم تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلاثاً ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِـمْ فَنَـادَاهُمْ فَقَـالَ : « **يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَـيْبَةَ بْـنَ رَبِيعَـةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُـمْ حَقًّا فَـإِنِّي قَـدْ وَجَـدْتُ مَـا وَعَدَنِـي رَبِّـي حَقًّا** » . فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ : يَـا رَسُـولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا[٢٩] وَأَنَّى يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ قَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ مَـا أَنْتُـمْ بِأَسْـمَعَ لِمَـا أَقُـولُ مِنْهُـمْ** وَلَكِنَّهُـمْ لا يَقْـدِرُونَ أَنْ يُجِيبُـوا » .. الحديث[٣٠] .

فمن خلال هذه الأدلة يتبين لنا أن الدعاء أي النداء أو الطلب من غير الله تعالى لا يكون كفـراً ولا شـركاً ولا بدعـة ضلالـة كمـا يدَّعيـه بعـض الناس .

---

(٢٩) قال النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٧/ ٢٠٧) : [هَكَـذَا هُـوَ فِـي عَامَّـة النُّسَخ الْمُعْتَمَدَة (كَيْف يَسْمَعُوا وَأَنَّى يُجِيبُوا) مِنْ غَيْر نُون ، وَهِيَ لُغَـة صَحِيحَـة وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَة الاسْتِعْمَال ، وَسَبَقَ بَيَانهَـا مَـرَّات ، وَمِنْهَـا : الْحَدِيـث السَّـابِق فِـي كِتَـاب الإِيمَان : « لا تَدْخُلُوا الْجَنَّة حَتَّى تُؤْمِنُوا »] . وما قاله النووي هنا فيه نظر . وتأمل ما قاله في « شرح مسلم » (١٣/ ١٩٦) و (١٦/ ٧٦) في أمر لغوي آخر مشابه لهذا .

(٣٠) هذا لفظ مسلم في الصحيح (٢٨٧٥) وهو أيضاً فيه برقم (٢٨٧٣) ، وهـو فـي البخاري بألفاظ وطرق متعددة بالأرقام التالية : (١٣٧٠و٣٩٧٦و٣٩٨١و٤٠٢٦).

واستكمالاً لهذا الموضوع وليطلع القارىء الكريم على جلية الأمر نقل هنا بعض أقوال مَنْ يدَّعي أن دعاء غير الله تعالى والطلب منه كفر وشرك وضلال ثم نفندها ، فمن ذلك :

قول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب في كتاب « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » ص (٦٣٩) :

[ولقد جرَّدَ السلفُ الصالحُ التوحيدَ وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلَّمَ على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء **حتى لا يدعو عند القبر**[٣١] ، فإن الدعاء عبادة ، وفي الترمذي وغيره: « الدعاء هو العبادة »،

---

(٣١) في كتاب « خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى » للعلامة علي بن عبد الله السمهودي خلاف هذا عن الأئمة الأربعة ، وهناك روايات أخرى عن بعض الأئمة الأربعة تخالف ذلك وقد بين السمهودي أنها شاذة مردودة ! فمما قاله هناك : [وفي المستوعب لأبي عبد الله السامريّ الحنبلي ثم يأتي حائط القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره وذكر السلام والدعاء.. وقال عياض : قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلَّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ، .. وقال إبراهيم الحربيّ في مناسكه تولّي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه يعني القبر وفي مسند أبي حنيفة رحمه الله لأبي القاسم طلحة عن أبي حنيفة جاء أيوب السختيانيّ فدنا من قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم فاستدبر القبلة وأقبل بوجهه إلى القبر وبكى بكاء غير متباك.. وعن أصحاب الشافعيّ وغيره يقف وظهره إلى القبلة ووجهه إلى الحضرة وهو قول ابن حنبل انتهى] . وسيأتي إن شاء الله تعالى أنه ثبت عن أحمد بن حنبل بالإسناد الصحيح أنه لا بأس باستلام القبر وتقبيله . روى الخطيب البغدادي في

فجرَّد السلفُ العبادةَ لله ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول اللــه صلـى الله عليه وسلم من الدعاء لأصحابها والاستغفار لهم والترحُّم عليهم ، .. ثـم إن فـي تعظيم القبور واتخاذها أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله مـا يغضـب لأجلـه كـل مـن فـي قلبـه وقــار للــه وغـيره علــى التوحيـد وتهجيــن وتقبيــح للشرك ..][٣٢] . وهذا الذي قاله سليمان بـن عبداللـه هنـا منقـول ومـأخوذ برمته من كتاب ابن قيم الجوزيـة « إغاثـة اللهفـان مـن مصـائد الشـيطان » (١/ ٢٠٠) ، **وإضافة إلى ذلك فإننا نزيد هنا بعض ما قاله ابن تيميــة الحَرَّانـي في هذه الباب فإنه إمام هذه الطائفة ومرجعهم ، فقــد جـاء فـي « مجمـوع الفتاوى »** (١٥/ ١٢) :

[وقال الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية على قـول اللـه عـز وجـل : ﴿ ادْعُـوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾الأعراف : ٥٥، ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِــي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِــنَ الْمُحْسِـنِينَ ﴾ الأعـراف : ٦٥ ، هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء : دعاء العبادة ودعاء المســألة ؛ فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما؛ **وهما متلازمان** فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه . **وكــل مـن يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود لا بُدَّ أن يكون مالكــاً للنفـع والضـر**[٣٣] . ولهـذا

تاريخه (١/ ١٢٠) بإسناد صحيح عن أبي علي الخلال قال : [ما هَمَّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهَّل الله تعالى لي ما أحبُّ] .

(٣٢) إلى آخر ما قاله ذلك المؤلــف مـن تضخيـم زيـارة قبـور الأنبيـاء والصـالحين وتصويرها بغير صورتها وحقيقتها ، ولسنا بصدد الرد على كل ما قاله الآن .

(٣٣) ومما يبطل هذه القاعدة الفاسدة أن الناس يملكــون لبعضهـم نفعـاً وضـراً ، إذ يستطيع بعض الناس أن يساعدوا آخرين بإسعافهم بالطعــام والشـراب والمـال وبنـاء

أنكر تعالى على مَنْ عبد مِنْ دونه (أي غيره)[٣٤] ما لا يملك ضراً ولا نفعاً[٣٥] . وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ ﴾ يونس : ١٠٦ ، وقال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ ﴾ يونس : ١٨ ، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضُّرَّ والنَّفع القاصر والمتعدي فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم[٣٦] . وهذا كثير في القرآن يبين تعالى

المساكن وإيواء المضطرين ، وإذا دعا ـ أي طلب وسأل ـ المحتاجون وأصحاب الضرورات المقتدرين على إسعافهم فهل يُعْتَبر المقتدرون معبوداً لأولئك السائلين حسب ما يدَّعيه ابن تيمية ؟! مع ملاحظة أن الله تعالى أثبت وكذلك رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن هناك من الخلق مَنْ يضر أو ينفع ! ومن ذلك ما جاء في البخاري (٩٢٧) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبةٍ : « مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضُرَّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعَ فِيهِ أَحَدًا** فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ » . وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَا **يَنْفَعُ النَّاسَ** فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ الرعد : ١٧ !

(٣٤) تذكَّر أن معنى (مِنْ دونه) : أي غيره ، وفي تفسير الجلالين : [﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا** ﴾ **بمعنى الذي** ﴿ يَدْعُونَ ﴾ **يعبدون بالياء والتاء** ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ **غيره..**] .

(٣٥) المراد بذلك الأصنام التي كانوا يعبدونها وهي لا تضر ولا تنفع وابن تيمية يحملها على أمور أخرى مغالطاً !

(٣٦) المقصودون بذلك كما ترى في الآيات التي ذكرها ابن تيمية إنما هم الكفار الذين اتخذوا من دون الله آلهة فكانوا يعبدون الحجارة والأصنام ويطلبون منها قضاء حوائجهم وهي حجارة لا تعقل ولا تضر ولا تنفع ، أما المؤمنون الموحدون الذين يطلبون من الأنبياء والأئمة والأولياء ـ الأحياء عند ربهم والذين يسمعون صلاة من يصلي ويسلِّم عليهم ـ أن يدعوا الله تعالى لهم ويتوسلون بهم ليغفر الله لهم أو لقضاء حوائجهم فهم لا يعرفون ولا يعتقدون رباً وإلهاً لهم غير الله تعالى ، فقياس

أن المعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضُّر فهو يدعو للنفع والضُّر دعاء المسألة ويدعو خوفاً ورجاء دعاء العبادة ، **فعلم أن النوعين متلازمان ، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة . وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة**(٣٧) . ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر : ٦٠ ، فالدعاء يتضمن النوعين وهو في دعاء العبادة أظهر ؛ ولهذا أعقبه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي.. ﴾ الآية . ويُفَسَّر الدعاء في الآية بهذا وهذا . وروى الترمذي عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .. الآية . قال الترمذي حديث حسن صحيح . وأما قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ الحج:٧٣. وقوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا ﴾ الآية النساء :١١٧. وقوله: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية فصلت : ٤٨ . وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لأوثانهم فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة فهو في دعاء العبادة أظهر ؛ لوجوه ثلاثة : أحدها : أنهم قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الزمر : ٣ ، فاعترفوا بأن دعاءهم إياهم عبادتهم لهم ...] . انتهى المقصود من قول ابن تيمية في هذه القضية وهو والقول الذي قبله ـ الذي نقله كاتبه عن ابن القيم ـ يعطي لمحة موجزة عن رأي هذه الطائفة وتفكيرهم وأدلتهم في هذه المسألة(٣٨) !

المؤمنين الموحدين لله تعالى بعابدي الأوثان والأصنام الذين اتخذوها آلهة من دون الله تعالى قياس فاسد باطل عقلاً ونقلاً !

(٣٧) لاحظ أنه هنا لم يقيده بدعاء الأحياء ولا الأموات بل أطلق ذلك !

(٣٨) وابن تيمية يغالط في هذه المسائل عند الحجاج ! فيحتج بالأحاديث الواهية والضعيفة لتأييد مقصده ومراده ! ويعيب على غيره احتجاجه بالأحاديث الضعيفة ! قال ابن تيمية في رده على الشيخ البكري (١/ ٥٠) الذي رد عليه في مسألة

وإذا تَفَحَّصْنا الآيات التي ذكرها ابن تيمية وغيره من شيعته الموافقين

الاستغاثة : [إن مثل هذا لا يخاطب خطاب العلماء و إنما يستحق التأديب البليغ و النكال الوجيع الذي يليق بمثله من السفهاء إذا سلم من التكفير فإنه لجهله ليس له خبرة بالأدلة الشرعية التي تتلقى منها الأحكام] . يقصد أنه لا يعرف ما ثبت من الأحاديث وما لم يثبت ! كما يتبجّح بذلك أيضاً الألباني المتناقض ! ثم نجد ابن تيمية يحتج بأحاديث مردودة ضعيفة أو واهية في هذه البابة أو لا تدل على مقصوده كحديث « الدعاء هو العبادة » ! ومن أمثلة ذلك أيضاً : قول ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (١/ ١٠٤): [وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد : أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاَللَّهِ عَلَيْك وَنَسْتَشْفِعُ بِك عَلَى اللَّهِ ؛ فَقَالَ : (شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ إنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ) فَأَقَرَّهُ عَلَى قَوْلِهِ نَسْتَشْفِعُ بِك عَلَى اللَّهِ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ نَسْتَشْفِعُ بِاَللَّهِ عَلَيْك] . وهو حديث واهي الإسناد موضوع المتن مشهور بحديث الأطيط كما بينته في التعليق على كتاب « العلو » للذهبي النص رقم (٥٦) ص (١٩٣) وتجد الكلام عليه هناك . وقال في « مجموع الفتاوى » (١/ ٣٢٩) : [وَلا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِغَيْرِ اللَّهِ : اغْفِرْ لِي وَاسْقِنَا الْغَيْثَ وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ أَوْ اهْدِ قُلُوبَنَا وَنَحْوَ ذَلِكَ ؛ وَلِهَذَا رَوَى الطَّبَرَانِي فِي مُعْجَمِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ الصِّدِّيقُ : قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ فَجَاءُوا إلَيْهِ فَقَالَ : « إنَّهُ لا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاَللَّهِ » وَهَذَا فِي الإسْتِعَانَةِ مِثْلُ ذَلِكَ]. وهذا حديث واهٍ ، رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣١٧) بلفظ (لا يقام لي إنما يقام لله تعالى) وليس (لا يستغاث بي ..) ، ورواه الطبراني باللفظ الذي ذكره ابن تيمية ، والطبراني كما في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٢٤٦) ، وفي إسناده عند جميعهم ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد ، وهو ضعيف والحديث منكر . وبذلك يستدل ابن تيمية بالموضوعات والواهيات ويخترع معانٍ باطلة للآيات تؤيد هواه ومراده !

له في آرائه فإننا نجدها لا توافق مُدَّعاهم في أن نداء الأمـوات أو الأحيـاء والطلب منهم والاستعانة بهم كفر وشِرْك أكبر ! ويكفي في مستهل عرضنا لتلك الآيات أن نورد لهم قول بعض الحفاظ والمحدثيـن الذيـن يعـترفون بعلمهم وإيمانهم ويحترمونهم في هذه القضية ! ومـن ذلـك قـول الحـافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٠/١٠٧) في ترجمة السيدة نفيسة :

[والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبـور الانبيـاء والصـالحين، وفـي المسـاجد،.... ولا ينهـى الداعـي عـن الدعـاء فـي وقـت إلا وقت ـ قضاء ـ الحاجة، وفي الجماع، وشبه ذلك] .

وقـال الذهبـي فـي « السـير » (١٧/٧٧) أيضـاً : [قلـت : والدعـاء مستجاب عند قبور الأنبياء والأولياء، وفي سائر البقاع، لكن سبب الإجابـة حضور الداعي، وخشوعه وابتهاله، وبلا ريب في البقعة المباركة، ..] .

أما حديث « الدعاء هو العبادة » فهو مع ضعفـه ــ وإن صححـه مـن صححه ـ إن سلَّمنا بثبوته جدلاً لا يدل على أن كل دعـاء عبـادة بـل يـدل علـى أن دعـاء اللـه تعـالى مـن جملـة عبادتـه سـبحانه ، أي مـن جملـة العبادات ، وأما دعاء غير الله تعالى فلا يُعَدُّ عبادةً لهذا الغير إلا إذا اعتقـد الداعي فيه أنه إله من دون الله تعالى ، كما اعتقـد أولئـك المشـركون فـي أصنامهم أنها آلهة من دون الله تعالى .

والآيات التي يوردها ابن تيمية وشيعته لا تدل على أن دعاء ـ أي نداء وطلب الحاجة من مخلوق يصح الطلب منه ـ غير الله تعالى عبـادة لذلـك

المدعو ولا أنه من جملة الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى كما يزعم ابن تيمية ومقلدوه، وذلك لأن الذي يسأل أحداً من الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين أو الشهداء أن يدعو الله له بقضاء حوائجه لم يعبدهم ولم يتخذهم أرباباً ولا آلهة من دون الله تعالى ! والداعي أو المنادي أو الطالب أو المستغيث أو المتوسل لا يعبد إلا الله ولا يعترف ويقر بالألوهية إلا لله تعالى وحده ، فكيف يقيسه ابن تيمية ويشبهه بأولئك المشركين الذين جعلوا الأصنام والحجارة والشمس ونحوها آلهة من دون الله تعالى ؟!

ومن تأمل في آيات القرآن الكريم عرف أن ما يهذي به هؤلاء الذين يرمون الناس بالكفر والشِرْك وعبادة غير الله تعالى باطل من القول بنص الكتاب المبين ، وذلك في مثل قوله سبحانه : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ مريم : ٨١ ، وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ يس : ٧٤، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ هود : ١٠١ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء : ٢٩ ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ﴾ الأنبياء : ٦٦ ، وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ ﴾ الفرقان : ٥٥ ، وقال تعالى : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَـدُونَ ﴾ النمل : ٢٤ ، وقـال تعـالى : ﴿ إِنَّمَـا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًـا فَـابْتَغُوا عِنْـدَ اللَّـهِ الـرِّزْقَ وَاعْبُـدُوهُ وَاشْـكُرُوا لَـهُ إِلَيْـهِ تُرْجَعُونَ ﴾ العنكبوت : ١٧ ، وهؤلاء الذين عبدوا غير الله تعـالى واتخذوهـم آلهة دون الله تعالى إذا قيل لهم اعبدوا الرحمن استنكروا ذلك كمـا أخـبر الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَـةَ إِلَهًـا وَاحِـدًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْـبِرُوا عَلَـى ءَالِهَتِكُـمْ إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ يُـرَادُ ﴾ ص : ٥-٦ ، وقـال تعـالى : ﴿ وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمُ اسْـجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ الفرقـان : ٦٠ ، وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُـوَ رَبِّـي لا إِلَـهَ إِلا هُـوَ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ الرعد : ٣٠ .

وبذلك يظهر بطلان قول من قال : إن دعاء غير الله تعالى ـ أي نداءه والطلب منه ـ عبادة له وهو من جملة الكفر والشِرْك !

ونختم ههنا بعدما أوردنا الآيـات الكريمـة المُجَلِّيـة لحقيقـة المسـألة بذكر حديث يشرّع نداء غير الله تعالى والاستغاثة به ، وتطبيـق أحمـد بـن حنبل لهذا الحديث ، وهو ما رواه البزار عن ابن عباس رضي اللـه عنهمـا مرفوعاً بلفظ : « إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسـقط من ورق الشجر ، فإذا أصابت أحدكم عَرَجَة بأرض فلاة فلينـاد : يـا عبـاد الله أعينوني »[٣٩]. وهو حديث حسن. وحديث عبد الله ابـن مسـعود قـال

(٣٩) حسن الإسناد . رواه البزار (٢/ ١٧٨/ ٤٩٢٢) و (٣/ ٢٧٥من كشف الأسـتار)

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احْبِسُوا عليَّ ، يا عباد الله احبسوا عليَّ ، فإنَّ لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم »[٤٠] . وفي رواية أخرى لهذا الحديث: « إذا ضَلَّ أحدكم شيئاً ، أو أراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أغيثوني ، يا عباد الله أغيثوني ، فإن لله عباداً لا نراهم »[٤١] . رواها الطبراني في الكبير وقال بعد ذلك : « وقد جُرِّبَ

مرفوعاً، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٢٨/ برقم٧٦٩٧) ، وحسنه الحافظ ابن حجر في « أمالي الأذكار » كما في شرح ابن عَلاَّن على « الأذكار » للنووي (٥/ ١٥١) ، وقال الحافظ الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ١٣٢) : « رواه الطبراني ورجاله ثقات » . واعترف الألباني بأنه حسن في ضعيفته (٢/ ١١١) فحكم على هذه الرواية بالحسن فقال : [وبعد كتابة ما سبق وقفت على إسناد البزار في " زوائده " (ص ٣٠٣) : حدثنا موسى بن إسحاق : حدثنا منجاب بن الحارث : حدثنا حاتم بن إسماعيل عن أسامة بن زيد عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فذكره. قلت: **وهذا إسناد حسن كما قالوا** ..] . وقال الألباني في ضعيفة (٢/ ١١١) أيضاً : [**ويبدو أن حديث ابن عباس الذي حسنه الحافظ كان الإمام أحمد يقويه ، لأنه قد عمل به**] .

(٤٠) حسن بالشواهد . رواه أبو يعلى في مسنده (٩/ ١٧٧) ، وابن السُّنّي في عمل اليوم والليلة برقم (٥٠٨)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٧/ ١٠٥١٨) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ١٣٢) : « فيه معروف بن حسان وهو ضعيف » ، وبالشاهد المروي عن ابن عباس الذي رواه البزار وصححه الحافظ ابن حجر في « أمالي الأذكار » (٥/ ١٥١) ، واعتراف الألباني بحسنه في ضعيفته (٢/ ١١١) يحكم على هذه الرواية بالحسن .

(٤١) حسن بالشواهد . رواه الطبراني في معجمه الكبير (١٧١١٧-١١٨) وقال

ذلك »[٤٢] .

وقد فعل هذه الاستغاثة والنداء والطلب من غير الله تعالى أحمد بن حنبل شيخ أهل الحديث والسنن عند من يسمون أنفسهم أتباع السلف ! فقد روى عبدالله بن أحمد بن حنبل قال : [سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج منها ثنتين راكباً وثلاثة ماشياً ، أو ثنتين ماشياً وثلاثة راكباً ، فضللت الطريق في حجة وكنت ماشياً ، فجعلت أقول : (**يا عباد الله دُلّونا على الطريق**) فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق][٤٣] .

الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ١٣٢) : « رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة » .

(٤٢) وهذا الذي قاله الطبراني (وقد جرب ذلك) قاله جماعة من المحدثين كالهيثمي في « المجمع » (١٠/ ١٣٢) ، والنووي في « الأذكار » (ص ٣٣١ من طبعة دار الفكر دمشق بتحقيق أحمد راتب حموش) وقال النووي عقبه ما نصه : [قلت : حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث ، فقاله ، فحبسها الله عليهم في الحال . وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته : فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام]. وقال البيهقي في كتابه الآداب (حديث رقم ٦٥٧) : [**هذا موقوف على ابن عباس ، مستعمل عند الصالحين من أهل العلم لوجود صدقه عندهم فيما جربوا . وبالله التوفيق] . وممن جرَّبه وفعله أحمد بن حنبل كما سيأتي وهو مروي عنه بإسناد صحيح .**

(٤٣) هذا صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل ، رواه ابنه عبدالله عنه كما في (مسائل أحمد رواية ابنه عبدالله) ص (٢٤٥) برقم (٩١٢) طبع المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م . ورواه البيهقي في شعب الإيمان

وهذا كله يبين أن أئمة السلف وأهل الحديث السالفين كانوا على خلاف نهج ابن تيمية ومقلديه الذين يرمون الناس بالشِرْك والضلال والبدع .

ومن هذا الباب أيضاً أن ابن تيمية يعتبر أن من جملة الشرك وأفعال أهل الضلال استلام القبور وتقبيلها حيث يقول في « مجموع الفتاوى » (٥١٧/٤) : [وَأَصْلُ هَذَا الْكَذِبِ هُوَ الضَّلالُ وَالابْتِدَاعُ وَالشِّرْكُ فَإِنَّ الضُّلَّالَ ظَنُّوا أَنَّ شَدَّ الرِّحَالِ إلَى هَذِهِ الْمَشَاهِدِ ؛ وَالصَّلاةَ عِنْدَهَا وَالدُّعَاءَ وَالنَّذْرَ لَهَا؛ **وَتَقْبِيلَهَا وَاسْتِلامَهَا** وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ والدِّين ..][44] .

وينقض هذا ما أفتى به أحمد بن حنبل ! ففي « كتاب العلل ومعرفة الرجال » (٤٩٢/٢)[45] من رواية ابنه عبد الله قال : [**وسألته عن الرجل**

(٦/ ١٢٨/ برقم٧٦٩٧) . وقال الألباني في سلسلته الضعيفة (٢/ ١١١) معترفاً بذلك: [ويبدو أن حديث ابن عباس الذي حسنه الحافظ **كان الإمام أحمد يقويه** ، **لأنه قد عمل به** ، فقال ابنه عبد الله في "المسائل" (٢١٧) : سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج .... ورواه البيهقي في "الشعب" (٢/ ٤٥٥/ ٢) وابن عساكر (٣ / ٧٢ / ١) من طريق عبد الله **بسند صحيح**] .

(٤٤) وهذا القول الذي يقوله ابن تيمية ذكره مقلدوه أيضاً ومنهم : ابن القيم في « إغاثة اللهفان » (١/ ١٩٤) ، وفي « زاد المعاد » طبع مكتبة الرسالة (٣/ ٦٠١) ، وسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب في « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » ص (٦٤٠) ، وسليمان بن سحمان في « الصواعق المرسلة الشهابية » (٣/ ٧٠) وغيرهم .

(٤٥) النص رقم (٣٢٤٣) ، والكتاب طبع المكتب الإسلامي ، بيروت / ودار

يمس منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتبرَّك بمسَّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرّب إلى الله جل وعز فقال : لا بأس بذلك] .

وبذلك يتم هدم ما يدعيه هؤلاء وما يرمون به الناس من الشِرْك والكفر والضلال .

زيادة تحقيق في قضية الاستغاثة في قول المتمسلفين عندما نحاججهم ويضعفون (تجوز الاستغاثة فيما يقدر عليه المخلوق) :

ينبغي هنا أن نلاحظ في حديث : « الدعاء هو العبادة » ، وحديث : « وإذا سألت فاسأل الله »(٤٦) وأمثالهما أنه وإن كان ظاهرهما العموم لكن العموم غير مراد ، وهما مخصوصان بأدلة أخرى عند جميع العقلاء ، والقَرْنيون المتمسلفون يحتجون بعمومهما على أن سؤال أو دعاء غير الله تعالى كفر بل شِرْك أكبر على وجه العموم ، لكن إذا حوججوا ببعض الأدلة الشرعية التي فيها جواز سؤال الغير أو الاستغاثة بهم ، قالوا : (إن

الخاني ، الرياض ، بتحقيق رضي الله عباس ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

(٤٦) **ضعيف** . رواه أحمد (١/ ٣٠٣) ، والترمذي (٢٥١٦) وصححه ، قال العُقَيلي في كتابه « الضعفاء » (٣/ ٥٣) : [وقد روي هذا الكلام عن ابن عباس من غير طريق أسانيدها لينة وبعضها أصلح من بعض] . وكان هذا الكلام ــ إن صح ــ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توجيهاً منه وتعليماً منه لطفل ليتوجَّه إلى الله تعالى في أموره لا لمنعه من أن يسأل أحداً شيئاً أو من أن يستعين بغيره على قضاء حوائجه .

هذا يجوز أو لا نزاع فيه لأنه من باب الاستغاثة والاستعانة بغير الله تعالى **فيما يقدر المخلوق عليه**) ، فيخرجون عن القول بعموم الحديثين وأمثالهما من نصوص الكتاب والسنة ويناقضون أنفسهم .

ومن ذلك قول الألباني في « سلسلته الصحيحة » (٥/ ٥٩١) عن حديث فيه استغاثة الناس يوم القيامة بسيدنا آدم ثم بسيدنا موسى ثم بسيدنا محمد عليهم صلوات الله تعالى وسلامه : [وليس فيه جواز الاستغاثة بالأموات ، كما يتوهم كثير من المبتدعة الأموات ! **بل هو من باب الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه**[٤٧] ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ.. ﴾ القصص : ١٥ ، فالميت الذي يستغاث به من دونه تعالى أعجز منه ، فمن خالف ، فهو إما أحمق مهبول ، أو مشرك مخذول لأنه يعتقد في ميته أنه سميع بصير[٤٨] ، وعلى كل شيء قدير ، وهنا تكمن الخطورة لأنه الشرك الأكبر ، وهو

---

(٤٧) على أن الألباني تناقض في هذا قال الألباني في سلسلته الضعيفة (٢/ ١١١) : [المراد بقوله في الحديث الأول " يا عباد الله " إنما هم الملائكة ، فلا يجوز أن يلحق بهم المسلمون من الجن أو الإنس ممن يسمونهم برجال الغيب من الأولياء والصالحين ، **سواء كانوا أحياء أو أمواتاً** ، فإن الاستغاثة بهم وطلب العون منهم شرك بين لأنهم لا يسمعون الدعاء ، ولو سمعوا لما استطاعوا الاستجابة وتحقيق الرغبة] . مع أن كل العقلاء يدركون ويعلمون أن الأحياء الذين يسمعون نداء المستغيثين يستجيبون لهم وينفعونهم ويسعفونهم بتلبية مرادهم .

(٤٨) نسي الألباني عند كتابة هذا القول حديث البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠) أن الميت يسمع قرع نعال الناس إذا ذهبوا عنه بعد دفنه ، وقول ابن تيمية في « مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٨٤) : [وهو صلى الله عليه وسلم يسمع السلام من القريب وتُبَلّغه الملائكة الصلاة والسلام عليه من البعيد] . هذا مع قوله تعالى :

الذي يخشاه أهل التوحيد على هؤلاء المستغيثين بالأموات من دون الله تبارك وتعالى ، وهو القائل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُون** ﴾ وقال : ﴿ **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾] .

والرد على استدلالاته : أن المراد بالآية الأولى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ** .. ﴾ إنما هي الأصنام وقد بيَّن الله تعالى أنه ليس لهم أيدٍ يبطشون بها ولا أرجل يمشون بها.. ومعنى (عباد أمثالكم) أي مخلوقات أمثالكم ، أي أنهم غير عقلاء كما تجد ذلك في تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي ، فالآية الكريمة لا يصح حملها على المؤمنين الموحِّدين الذين يتوسلون أو يستغيثون بالأنبياء الأحياء عند ربهم الذين يسمعونهم ويقدرون أن يدعو الله لهم بقضاء حوائجهم ! وكذلك القول في الآية الثانية مثل ما قلنا في الأولى ، فقد قال الحافظ ابن جرير الطبري في تفسيرها (١٠/٤٠٣): [**قوله** ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ** ﴾

﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ **فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾ ق : ٢٢ .
وقد التقى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأنبياء الذين تُوُفّوا قبل مبعثه ليلة الأسراء وكانوا يبصرونه ويسمعونه ويحادثونه ، وحديث قليب بدر حينما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتلى المشركين: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا» . وهو في البخاري (١٣٧٠و٣٩٧٦و٣٩٨١و٤٠٢٦) ، ومسلم (٢٨٧٥و٢٨٧٣) .

فاطر : ١٤، **يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان : ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكاً في الدنيا ..] . ونقل ابن جرير هذا المعنى عن بعض أئمة السلف .** والاستغاثة بالأنبياء سواء كانوا قبل الوفاة أو بعدها إنما هو بأمر أقدرهم الله تعالى عليه ! وأدلة الشريعة أفادت أن الأموات وخاصة الأنبياء والأولياء والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم يسمعون كلام الأحياء وأنهم ﴿ **فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ آل عمران : ١٧٠ ، وقد صحح الألباني في صحيحته (٦٢١) حديث « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » ، وحديث الإسراء وفيه لقاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وحديث مسلم (٢٣٧٥) : « مررت على موسى ليلة أُسْرِيَ بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره » ، فالمتوسلون يدعون الله تعالى أن يقضي حوائجهم بمنزلة وجاه هؤلاء الأنبياء أو الأولياء أو الشهداء ، والمستغيثون يطلبون من الأنبياء .. أن يدعو الله تعالى لهم بقضاء حوائجهم ! فأيُّ شِرْكٍ في اعتقاد أنهم يسمعون نداءهم أو دعاءهم وأن الأنبياء يدعون الله تعالى لهم ؟ والمستغيثون لم يتخذوهم آلهة من دون الله تعالى ولا يعتقدون أنهم أرباب بل عباد مكرمون بخلاف ما فعله واقترفه عبدة الأصنام والأوثان المشركين ؟!

ومما يشابه كلام الألباني أيضاً ما كتبه بعض المتمسلفين في مقدمة كتاب « الغنية » للخَطَّابي (١/ ٥٥) حيث يقول : [فهل يستطيع أحد من هؤلاء أن يأتي بحرف من القرآن أو من السنة الصحيحة على مشروعية التوسل بالصالحين

أو الأنبياء والمرسلين فضلاً عن الاستغاثة بالرسول أو بغيره فإن الاستغاثة بغير الله شرك لا ريب فيها وأما التوسل فهو بدعة لا كفر] . وهذا القائل ـ كما يظهر ـ من المكابرين والمعاندين المتعصبين ! فإن نصوص الشرع الدالة على ندب التوسل والاستغاثة والمأثور عن السلف وأهل الحديث كثيرة ! أما التوسل بالصالحين فيكفي في ثبوته ما رواه البخاري (١٠١٠و٣٧١٠) من توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما وإقرار ابن تيمية لذلك في « مجموع الفتاوى » (١/١٠٤) ، وقال ابن كثير في تاريخه (١٤/٤٥) وهو من رفقاء ابن تيمية وتلامذته إن ابن تيمية قال : [**لا يستغاث إلا بالله ؛ لا يستغاث بالنبي استغاثة بمعنى العبارة وإنما يتوسل به ويُتَشَفَّع به إلى الله**] .

وأما الاستغاثة فإن عنى بقوله أن الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم شرك في حياته فهو باطل بشهادة أئمته وقد تقدَّم الآن قول الألباني بجواز الاستغاثة بالحي ، وإن عنى بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فهو باطل أيضاً لأن الأنبياء أحياء عند ربهم ويسمعون من يصلي ويسلِّم عليهم ، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾ النساء : ٦٤ ، وهو عام في حياته وبعد وفاته ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يسمعهم بعد وفاته أو يبلّغه المَلَك ، بدلالة مثل حديث : « .. وصلوا عَلّي فَإِن صَلاتكُمْ تبلغني حَيْثُ كُنْتُم » رواه أبو داود (٢٠٤٢) وهو صحيح ، وَحَدِيث أبي هُرَيْرَة أَيْضا مَرْفُوعاً : « مَا من أحد يسلم عَلّي إِلا رد الله إِلَيّ روحي حَتَّى أرد عَلَيْهِ السَّلام » رواه أحمد (٢/٥٢٧) وأبو داود (٢٠٤١) وغيرهما وهو صحيح . وحديث إن الميت ليسمع قرع نعال الناس إذا ذهبوا ، ونصه :

« الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ **لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ** أَتَاهُ مَلَكَانِ .. » رواه البخاري (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠)، وقال ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (٢٧/ ٣٨٤): [**وهو صلى الله عليه وسلم يسمع السلام من القريب وتُبَلِّغه الملائكة الصلاة والسلام عليه من البعيد**] .

وقال الحافظ السخاوي في « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع » ص (١٧١) : « يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم **حي على الدوام** ، وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلِّم عليه في ليل أو نهار ونحن نؤمن ونصدق بأنه صلى الله عليه وآله وسلم **حي يرزق في قبره،** وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض ، والإجماع **على هذا** » . وقال ابن حزم في « المحلى » (١/ ٢٥) : « وأما الشهداء فإن الله عز وجل يقول: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم ، **ومن خالف في هذا فليس مسلماً** » .

ويقول أحد الرادين علينا بالباطل في كتاب سماه « الإسعاف من إغاثة السقاف » ص (٤٨) : [وحتى لو ثبت سماع الأموات بل لو ثبت ذلك السماع الخارق الذي يعتقده القبورية لم يعد ذلك دليلاً على الإستغاثة فالاستغاثة بغير الله شرك لا تجوز وإليك البرهان : قال تعالى ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ النمل :٦٢ ، قلت : ولا ريب أن دعاء المضطر استغاثة فانظر كيف جعل رب العالمين إثبات

مستغاث غيره يلجأ إليه بالنوائب إثبات إله معه سبحانه ..] !

وعلى ذلك وحسب استدلال هذا المسكين فلو وقع أحد في ورطة أو في حالة اضطرار فسأل أخاً له أو أي إنسان أن يعينه على قضاء حاجته فإنه يكون مشركاً لأن الذي ينبغي أن يسأله المضطر هو الله سبحانه وتعالى لا غير ـ حسب ما يدعيه ويدل عليه إيراده لهذه الآية الكريمة ــ ! وقد قال الشوكاني في تفسيره (٤/ ٢١٠) : [**واللام في المضطر للجنس لا للاستغراق فقد لا يجاب دعاء بعض المضطرين لمانع يمنع من ذلك**] . ثم تأمل كيف يعترف بأن الأموات يسمعون بطرق ملتوية ثم يقول إن الاستغاثة بغير الله تعالى شرك ، وقد بينَّا أن الاستغاثة هنا معناها الطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الله تعالى للسائلين بقضاء حوائج المستغيثين وهذا مما يقدر عليه الأنبياء والشهداء والأولياء بعد أن ثبت أنهم يسمعون ويستبشرون بالمؤمنين الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم..! ويناقض هذا المسكين فيقول في نفس كتابه ص (٧) أيضاً : [**نحن لا نكفر من يسأل الخلق الأحياء أموراً يقدرون عليها ، بل حتى من يقع في الشرك لا نكفره حتى نقيم عليه الحجة**] ! ولو زاد فقال : (وكذلك لا نكفر من استغاث بالأنبياء والشهداء والأولياء فيما يقدرون عليه من التوجه إلى الله سبحانه وتعالى ليقضي حاجات المتوسلين والمستغيثين لأنهم يسمعون النداء) لأصاب !

ومثال المستغيثين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ذلك الأعرابي الذي دخل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم وهو يخطب كما روى أنس بن مالك في الصحيحين فقال : (إن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائماً فقال : يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا ..) ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره ويسمع فما المانع من سؤاله ؟! ومثال الاستغاثة به صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته ما ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٢/ ٤٩٥) ونصه : [روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر قال أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فَأُتِيَ الرَّجل في المنام فقيل له ائت عمر.. الحديث] . وهو في مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٦) وتمامه : [ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون ، وقل له عليك الكيس عليك الكيس ، فأتى عمر فأخبره ، فبكى عمر ، ثم قال : يا رب لا آلوا إلا ما عجزت عنه] . وهذا الأثر قاطع لتخرصات المتمسلفين وقد حاولوا أن يضعفوه تارةً بتضعيف مالك الدار، وتارة أخرى بدعوى الانقطاع بين أبي صالح السمان ومالك الدار ، وكلها دعاوى باطلة مردودة ، وعلى فرض عدم صحته فما قدَّمناه قبل ذلك من الأدلة قاطع لشغبهم في هذه المسألة .

فقد ثبت مما قدمناه أن سؤال ودعاء غير الله تعالى ليس شركاً ولا كفراً بل ولا محرَّماً أومكروهاً ، بل قد يكون مستحباً ومطلوباً كالتوسل

والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وسيد الخلق صلوات الله عليهم أجمعين ، وأن هذا لا يناقض التوحيد والإيمان ، كما دللنا عليه . وقد نص على ذلك العلماء ومنهم :

١- الإمام النووي الذي يقول في المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٤) ما نصه في حق زائر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : [ثم يرجع إلى موقفه الأول قُبَالَةَ وَجْهِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا مستحسنين له : .. السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيماً ﴾ النساء : ٦٤ ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ..] .

٢- الإمام السُّبْكي رحمه الله تعالى : قال العلامة المناوي في : « فيض القدير بشرح الجامع الصغير » (٢/ ١٣٥) : [قال السبكي : ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي إلى ربه ولم ينكر ذلك أحد من السلف ولا من الخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الإسلام مُثْلَة انتهى] . والله الموفق والهادي .

وهذا الملحق زدته من شرحي على الجوهرة الذي صنفته بعد تصنيف هذا الكتاب بنحو عشرين سنة .

فصـــــل

في إبطال القسم الثالث

من التقسيم المزعوم وهو توحيد الأسماء والصفات

اعلم يرحمك الله تعالى أنّ أهل السـنة والجماعـة بمـا فيهـم الأشـاعرة والماتريدية يثبتون لله من الصفات ما أثبت لنفسه ، ومـا يشوّشـه المجسـمة عليهم من أنّهم معطلة وجهميـة تشـويش فـارغ لا قيمـة لـه بعـد التمحيـص العلمي والتدقيق[٤٩] .

فأهل السنة يثبتون لله تعالى العلم والقدرة والإرادة والمشـيئة والرحمـة والحياة والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات ، وينزهون الله سبحانه عمّا لا يليق به ، ولا يطلقـون بعـض الألفـاظ والإضافـات الـواردة فـي الكتـاب والسنة والتي لا يراد منها حقيقتها صفات لله تعالى ، لأنّ نفس القواعد التي أسستها آيات القرآن المحكمة وأحاديث النبي صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم ترفض ذلك ، فمثلاً لا يُثبتون صفة النسيان مع أنّ لفـظ النسـيان ورد مضافـاً لله تعالى في القرآن ، قال تعالى : ﴿ **نَسُوا اللَّـهَ فَنَسِـيَهُمْ** ﴾ التوبة : ٦٧ ، فلـم يصفوا الله بذلك ـ أعني النسيان ـ لأنّ الله تعالى يقول أيضـاً : ﴿ **وَمَـا كَـانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ مريم : ٦٤ ، وكذلك لفظ الهرولة والضحـك والمـرض والجـوع

---

(٤٩) والمؤمن لا ينغر بالشعارات ولا بالإشاعات ، وإنّما يَتَثَبَّتُ مـن كُـلِّ أمـرٍ يسـمعه ويُمحِّص ويبحث بنفسه ، وأسأل الله أن لا ينطبق فينا نحن الأمة الإسلامية قـول أحـد أعدائنا فينا : هذه أُمّة تسمع ولا تقرأ !

وردت في أحاديث لا يجوز لأي عاقل أنّ يطلقها صفات على الله سبحانه ، فالحديث الصحيح الذي فيه : « ومن أتاني ماشياً أتيته هرولة » لا نثبت به صفة الهرولة لله سبحانه التي معناها الحقيقي في اللغة المشي السريع ، بل يعرف جميع العقلاء ويدركون بأنّ المراد بذلك هو المعنى المجازي في اللغة وهو : (من أطاعني وتقرّب إليَّ تقربت إليه بإكرامه والإنعام عليه أكثر وأسرع) .

وكذلك ما جاء في الحديث القدسي الصحيح :

« عبدي مرضتُ فلم تعدني .. » الحديث رواه مسلم (٤/ ١٩٩٠ برقم ٢٥٦٩) ، لا نقول إنَّ الله أثبت لنفسه مرضاً وأضافه إليه فنحن نثبت له صفة المرض ، بل لا يقول بهذا عاقل ، وقد أرشد الحديث إلى أنَّ الصفة هي للعبد ، وإنما صرفنا تلك الصفة من أن نعدّها من صفات الله ، قواعد التنزيه المأخوذة من الكتاب والسنة الناصّة على أنّه سبحانه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ الشورى : ١١ .

والضحك كذلك لا يليق ان يُطلق حقيقةً على الله وإنما يُطلق على سبيل المجاز ، وتأويله عند أهل العلم الرضا أو الرحمة ، فإذا ورد في حديث أنَّ الله يضحك إلى فلان فالمراد به أنه يرضى عنه ويرحمه وهكذا ، فهناك قواعد وأُصول لابُدَّ أنْ نرجع إليها ضبطها أهل العلم من الأئمة الراسخين الربانيين وقد عرضناها وبينّاها في التعليق على « دفع شبه التشبيه » .

روى الإمام البيهقي في كتـاب « الأسـماء والصفـات » ص (٢٩٨)[٥٠] أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى أوَّل الضحــك بالرحمـة ، وهـذا هـو نهـج السلف والمحدّثين والبخاري بلا شك من أئمة المحدّثين ومن أهل القـرون الثلاث ، قرون السلف المشهود لها بالخيرية .

---

(٥٠) بتحقيق الإمام المحـدّث الكوثـري عليـه الرحمـة والرضـوان ، طبعـة دار إحيـاء التراث . **(تـنبيـه) :** لقد طُبع كتاب « الأسماء والصفات » للحافظ البيهقي الذي قـدّم له وعلّق عليه الإمام المحدّث الكوثري رحمه الله تعالى طبعتين جديدتين ، إحداهما : قد حذف منها كتاب « فرقان القرآن » للشيخ العزامي رحمه الله تعالى كما حذف منهـا مقدمة العلامة الكوثري ، والثانية : طبعة بصف جديد لـم يكتـب عليهـا أن التعليقـات التي عليها هي للعلامة الكوثري ، ثم رأيت طبعة ثالثـة : بصـف وتنضيـد جديـد أيضـاً حذفت منها تعليقات المحدث الكوثري ، ثم رأيت من يحيك هذا التلاعب مـن تُجّـار الكتب قـد طبعـوا كتابـاً آخـر سـمّوه « الأسـماء والصفـات » بشـكل وبحجـم كتـاب « الأسماء والصفات » للحافظ البيهقي ، ولكنـه باسـم ابـن تيميـة الحرّانـي ، ليضللـوا القارئ المبتدئ عن كتاب الحافظ البيهقي بشكل عام !! ويبعدوه عن تعليقات ومقدّمـة العلامة المحدّث محمد زاهد الكوثري بشكل خاص !! فلتكونوا جميعاً على علم تـام بهذا التلاعب المشين !! وهذه المؤامرات الخبيثة .

ثم اعلموا أنه ليس لابن تيمية كتاب يسمى « الأسـماء والصفـات » كمـا أنـه ليـس لـه كتاب يُسمى « دقائق التفسير » (٦ مجلدات نفخ طباعي) كما بينـا ذلـك فـي تعليقنـا على « دفع شبه التشبيه » ص (٥١) وإنّما ذهب المفتونون بالشـيخ الحَرّانـي وعشـاقه والمروجون لأقواله الخاطئة إلى ـ فتاواه المباركة !! ـ فاسـتخرجوا منهـا الكـلام علـى مسائل الصفات !! فجمعوها وطبعوها باسم جديد !! خداعـاً !! وتمويهـاً !! وليكـثّروا مصنفات الشيخ الحرّاني في أعين المغفلين من السذج أو القراء البسطاء !! فالله تعالى حسيبهم !!

فـــــرع
التأويل هو منهج السلف

يشيع المجسمة والمشبهة إنَّ مذهب السلف عدم التأويل وإمرار النصوص واعتقاد حقيقة ظواهرها ، وأنَّ مذهب الخلف وعلى رأسهم الأشاعرة هو تأويل الصفات والتعطيل .

وهذه إشاعة لا أصل لها من الصحة البتة ، وقد انغرَّ بها كثير من الناس، بل كثير من أهل العلم فظنّوا صحتها ، والصواب أنَّ السلف بما فيهم الصحابة والتابعون كانوا يؤوّلون كثيراً من الألفاظ التي لا يرد منها إثبات صفات لله تعالى ، وتفسير الإمام الحافظ ابن جرير السلفي (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) أكبر برهان على ذلك فقد أورد الحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره وروى بأسانيده عن سيدنا ابن عباس تاويل (الساق) الواردة في قول الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ** ﴾ القلم : ٤٢ ، بالشِّدَّةِ ، لان العرب تقول كشف الحرب عن ساقها أي اشتدت[٥١] .

كما نقل الحافظ ابن جرير تأويل النسيان بالترك ، انظر تفسير الطبري

---

(٥١) وهناك كتاب صنَّفه بعض أذيال الألباني المتمسلفين سماه « المنهل الرقراق » أنكر فيه ثبوت هذا التأويل للساق عن سيدنا ابن عباس بعد تأليف هذه الرسالة بسنين ، وهو مخطىء في ذلك إذ أن ذلك قد تواتر عن ابن عباس في الكتب ، وقد رددت عليه في سند واحد من أسانيد ذلك التأويل الثابت عن سيدنا ابن عباس وبينت له ثبوته وتدليسه في الطعن في تلك الأسانيد وذلك في الجزء الثاني من كتاب « تناقضات الألباني الواضحات » ص (٣١٢) فليرجع إليه من شاء التبصر .

(مجلد ٥ / جزء ٨ ص (٢٠١ ـ ٢٠٢) ونقل تأويل قوله تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ** ﴾ الذاريات : ٤٧ أي : (بنيناها بقوّة) انظر (٧/٢٧) من تفسيره[٥٢] .

وهذه التأويلات منقولة عن سيدنا ابن عباس وعن مجاهد وقتادة والحسن ومنصور وابن زيد وغيرهم من أعلام السلف الصالح رضي الله عنهم ، وكلها تشهد بكذب من قال إن السلف لم يؤوّل أحد منهم ولم يكن التأويل من منهجهم وإنما هو عند الخلف والأشاعرة المعطلة الجهميين ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم يطمسون بها الحق والحقائق ، وينصرون بها آرائهم المخطئة المغلوطة .

والتأويل أيضاً ثابت عن أحمد بن حنبل ثبوت الشمس في رابعة النهار وهو من جملة أعلام السلف وأئمة المحدّثين ، وإليه تُظْهِرُ المجسمة الانتساب وهو مؤوِّل وقد بينّا ذلك في مقدّمتنا لكتاب الحافظ ابن الجوزي: « دفع شبه التشبيه » .

فقد أوَّلَ أحمد بن حنبل قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ** ﴾ الفجر : ٢٢، أنه جاء ثوابه، كما ثبت عنه بإسناد صحيح، انظر «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/٣٢٧) .

---

(٥٢) (أَيْدٍ) : في اللغة جمع يد وهي الكف ، وليس كما يشيع بعضهم باطلاً بتلبيس غريب أنَّ (الأيد) في اللغة لا تطلق إلاّ على القوّة ، ليصلوا إلى أنّ ابن عباس لم يؤوّل في هذه الآية ، فهؤلاء تكذبهم قواميس اللغة ، ففي القاموس المحيط للمجد الفيروزأبادى في مادة (يدي) يقول : اليد : الكف ، أو أطراف الأصابع إلى الكتف ، جمعها : أيدٍ ويُدِيٌّ . اهـ . فتأمل . ويكذبهم قبل ذلك القرآن الكريم فإنَّ الله سبحانه يقول في كتابه : ﴿ **أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا** ﴾ الأعراف : ١٩٥ .

وهناك تأويلات أخرى كثيرة وردت عن أحمد بن حنبل لا أريد الإطالــة بذكرها ، ذكرت بعضها في كتابي (الأدلة المقوّمة لاعوجاجات المجسمة) فلتراجع وكل ذلــك يثبـت بطـلان وتهـافت قـول مـن قـال : إنّ الأشـاعرة والخلف معطلة لأنهم أوَّلوا ، والسلف لم يؤوَّلـوا بـل اثبتـوا للـه تعـالى مـا أثبت لنفسه .

وقد أثبتُّ في فصلٍ طويل في شرحي لجوهرة التوحيد أن التفويـض لـم يثبت عن السلف ، وناقشتُ ما ورد فـي ذلـك مطـولاً ، ونقلـت تـأويل مـن حُكِيَ عنهم التأويل من السلف ، فارجع اليه لتعرف الحقيقة .

فـــرع

كشف حقيقةِ قول مَنْ قال بأنه لا يَصِفُ اللَه إلاّ بما وَصَفَ به نفسه وبأنه يُثبتُ لله ما أَثبتَ لنفسه وتناقضه

إنَّ ابن تيمية إمام هذه الطائفة ، يقول بهـذا الكـلام ويدعـو إلـى توحيـد الأسماء والصفات ثم نراه يثبت لله ما لم يثبته الله لنفسه ويصف الله بما لا يليق به سبحانه ، ويسير معه تلامذته وأتباعه على ذلك .

نرى ابن تيمية يثبت لله الحركة والجلوس والاستقرار على ظهر بعوضة والحد و ... ، ويثبت لله سبحانه صفات بأحاديث موضوعـة أو إسـرائيليات من ذلك أنه أثبت أنَّ الله سبحانه يتكلّم بصوت يشبه صـوت الرعـد[٥٣] بـل يقول بجواز إطلاق أنَّ الله جسم[٥٤] ، بل يقول بأنَّ التجسـيم والتشـبيه غـير مذمومين ، لا في الكتاب ولا في السنة ، ولا عند السلف الصالح كما تقدّم، وهو غير صادق في ذلــك ، فيقـول فـي كتابـه « بيـان تلبيـس الجهميـة فـي تأسيس بدعهم الكلامية » (١٠٩/١) ما نصه :

« فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة ولا كلام أحـد مـن الصحابة والتابعين » اهـ .

ويقول في كتابه « التأسيس » (١٠١/١) ما نصه :

(٥٣) انظر موافقة صريح المعقول المطبوع على هامش منهاج السنة (٢/ ١٥١) .
(٥٤) منهاج السنة (١/ ١٨٠) والتأسيس (١/ ١٠١) .

« وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم » اهـ .

ويقول في كتابه « التأسيس » أيضاً (١/٥٦٨) ناقلاً عن عثمان الدارمي مقراً له :

« ولو قد شاء ـ الله ـ لاستقرَّ على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم » اهـ .

ويثبت ابن تيمية في التأسيس والموافقة (٢/٢٩) : الحد لله تعالى والحد لمكان الله تعالى ، علماً بانَّ لفظة (حَدّ) لم تَرِدْ في الكتاب ولا في السنة ، فأين قوله : لا نصف الله إلاّ بما وصف به نفسه ؟!

بل يقول هناك في الموافقة (٢/٢٩) بكفر من لا يقول بالحد لله تعالى وهو بنظره جاحد بآيات الله كافر بالتنزيل فيقول ما نصه :

« فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد ، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آيات الله » اهـ .

فالمسلمين جميعاً الذين لا يعتقدون بعقيدته هذه التي لم ترد في الكتاب ولا في السُّنَّة كفار بنظره ، حتى تلميذه الحافظ الذهبي الذي يقول في كتابه « ميزان الاعتدال » (٣/٥٠٧) إنّ الاشتغال بمسألة الحد اشتغال بفضول الكلام والذي يقول في « سير أعلام النبلاء » (١٦/٩٧) :

« **وتعالى الله أن يُحَدَّ أو يوصف إلا بما وصف به نفسه ...** » ، وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي نفى الحد عن الله تعالى في « لسان

الميزان » (٥/ ١١٤) يكون كافراً على قاعدة ابـن تيميـة هـذه !! ومعـاذ اللـه ، والمسلمون قبل ابن تيمية بقرون اتفقوا على تنزيه الله تعالى عن الحد ونقل ذلك الاتفاق جماعة من الأئمة والعلماء ، قال الإمـام الأُستاذ أبـو منصـور البغدادي الذي يعوّل على كلامه الحافظ ابن حجر وأمثاله مـن العلمـاء فـي كتابه « الفَرْق بين الفِرَق » [ص (٣٣٢) بتحقيـق محمـد محي الديـن عبـد الحميـد] مـا نصه : « وقالوا ـ أَي أَهل السنة مجمعين ـ بنفي النهايـة والحـد عـن صـانع العالم .. » اهـ

فممّـا قدّمتـه وأوضحتـه ودلّلـتُ عليـه تتضـح حقيقـة توحيـد الأسـماء والصفات عند من يدعو إليه ، وأَنّ ذلك مجرّد الدعوة إلى تجسيم الله تعالى وتشبيهه بخلقه ووصفه بما لم يصف به نفسه ، أو إطلاق بعـض الألفـاظ ــ الواردة في الكتاب والسنة والتي لم يُقصد منها أنها صفات ـ على الله تعالى وحملها على أنهـا صفـات حقيقيـة للـه تعـالى ، وإشـاعة أن التـأويل بدعـة مذمومة وأنَّ الأشاعرة وغيرهم فرق ضالة لأنهم عطلوا صفـات اللـه تعـالى بزعمهم ، وكل ذلك باطل لا أصل له .

وتتميماً للبحث لا بُدَّ من أن نتكلم عن أصل أكبر فرقة قديمـة مـن فـرق المجسمة وهي الكرّامية وبيان بعض آرائها في الصفات التي توافق ما يدعـو إليه ابن تيمية وأتباعه ، وخصوصـاً أنّ ابـن تيميـة يثنـي عليهـا فـي « منهـاج السنة » (١/ ١٨١) ويعتبرها من أكابر نظّار المسلمين[٥٥] ثم نعرض نماذج مـن

---

(٥٥) لا يقال عن شخص من نُظَّار المسلمين إلاّ إذا كان صحيح العقيدة مستقيماً غـير مطعون فيه ، فإذا كان كذلك وكان مُبرِّزاً في التآليف والتصنيف قوي الحجة شجى فـي

حلوق أعداء الإسلام والفرق الإسلامية الضالة فيقال عنه حينئذ إنه من نُظّار المسلمين، وأجلب لك على هذا مثالاً : ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة أبو محمد بن كُلاَّب في « سير أعلام النبلاء » (١١/ ١٧٥) ما نصه : « وقال بعض من لا يعلم : إنه ابتدع ما ابتدعه ليدُسَّ دين النصارى في ملتنا وإنه أرضى أخته بذلك ، وهذا باطل ، والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة ، بل هو في مناظريهم » اهـ . وقال المعلّق على كلام الذهبي هذا في « سير أعلام النبلاء » (١١/ ١٧٥) : « وكان إمام أهل السنة في عصره وإليه مرجعها ، وقد وصفه إمام الحرمين ت٤٧٨ هـ في كتابه « الإرشاد » ص (١١٩) : بأنه من أصحابنا . وقال السبكي في « طبقاته » : أحد أئمة المتكلمين . وابن تيمية يمدحه في غير ما موضع في كتابه « منهاج السنة » وفي مجموعة رسائله ومسائله ، ويعده من حذاق المثبتة وأئمتهم ، ويرى أنه شارك الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف في الرد على مقالات الجهمية ، وحين تكلَّم أبو الحسن الأشعري في كتابه « مقالات الإسلامين » (١/ ١٨٩ ، ٢٩٩) عن أصحابه ، ذكر أنهم يقولون بأكثر مما ذكرناه عن أهل السنة » اهـ كلام المعلّق .

قلت : بل ذكر الحافظ ابن حجر أنَّ الإمام البخاري كان على مذهبه في علم الكلام حيث قال في «الفتح » (١/ ٢٤٣) : « مع أن البخاري في جميع مايورده من تفسير الغريب إنما ينقله عن أهل الفن كأبي عبيد والنضر بن شميل والفرّاء وغيرهم ، وأما المباحث الفقهية فغالبها مستمدة له من الشافعي وأبي عبيد وأمثالهما ، وأما المسائل الكلاميّة فأكثرها من الكرابيسي وابن كُلاَّب ونحوهما » اهـ . ولنعد إلى ما بدأنا به ولنتذكر أن النُظَّار أو نُظّار المسلمين هم أكابر العلماء المتخصصين في الرد على المبتدعة ، وهم : أهل التأمل وتقليب البصر والبصيرة وأهل التفحص في مسائل العلم ، وابن تيمية الحرّاني يعطي هذا اللقب للكرامية الجهلاء الذين أجمعت الأمة على كفرهم كما نص على ذلك الإمام البغدادي في كتابه « الفرق » (ص (٢١٥) بتحقيق محمد محي الدين) فيقول ابن تيمية في « منهاج سنته » (١/ ١٨١) : « وكما قال ذلك من الكرّامية وغيرهم من نظار المسلمين » اهـ . فكأنّه يقول : كما قال ذلك

كتاب « شرح العقيدة الطحاوية » لابن أبي العز المنسوب للحنفية خطأً والحنفية منه براء ، لأن ذلك الكتاب كتاب خطير يحتوي على كثير من العقائد الفاسدة التي سأذكر بعضها إنْ شاء الله تعالى ، وينبغي أن يحذره المدرسون وطلاب العلم ويعلموا بأنّ ابن أبي العز شارحها يَرُدُّ على صاحب العقيدة الطحاوية الإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى ، فأقول :

إمام الكرّامية الذين يثني عليهم ابن تيمية هو محمد بن كرّام السجزي المجسم صاحب العقائد الوثنية المشهورة في كتب الفرق ، وإليك نبذة عن هذا الإمام المقتفى عندهم !! لتكون على بينة منه ومن ضلالات عقائده :

قال الشيخ عبد القاهر البغدادي في « أصول الدين » ص (٣٣٧) : « وأما مجسمة خراسان من الكرّامية فتكفيرهم واجب لقولهم : بأنّ الله تعالى له حد ونهاية من جهة السفل ومنها يماس عرشه ، ولقولهم : بأن الله تعالى محل للحوادث » اهـ .

وقال أيضاً في « الفرق بين الفرق » [٥٦] : « فصل في ذكر مقالات الكرّامية ، وبيان أوصافها : الكرّامية بخراسان ثلاثة أصناف ، وهذه الفرق

من قال من الشافعية وغيرهم من فقهاء المسلمين ، فتأمّل !! وهل يعتبر من نُظّار المسلمين من يقول : بأن الله له حَدٌّ وأنّه جسم جالس على العرش مماس له وأنّ الحوادث تقوم بذاته ؟ فتدبروا يا أولي الأبصار !

(٥٦) انظر كتاب « الفرق بين الفرق » لعبد القاهر البغدادي ص (٢١٥) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

الثلاث لا يكفر بعضها بعضاً وإنْ أكفرها سائر الفرق ، فلهذا عددناها فرقة واحدة ، وزعيمها المعروف محمد بن كرّام وضلالات أتباعه .. نذكر منها المشهور ، الذي هو بالقبح مذكور ، فمنها : أنَّ ابن كرّام دعا أَتباعه إلى تجسيم معبوده ، وزعم أنّه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه ، وقد ذكر ابن كرّام في كتابه ـ أيضاً ـ أنَّ الله تعالى مماس لعرشه وأنَّ العرش مكاناً له ، وأبدل أصحابه لفظة المماسة بلفظ الملاقاة منه للعرش .. واختلف أصحابه في معنى الاستواء المذكور في قوله تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ طه : ٥ فمنهم من زعم : أنَّ كل العرش مكان له ، وأنَّه لو خلق بإزاء العرش عروشاً موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكاناً له ، ومنهم من قال :

إنه لا يزيد على عرشه في جهة المماسة ، ولا يفضل منه شيء على العرش ، وزعم ابن كرّام وأتباعه أنَّ معبودهم محل للحوادث » اهـ .

وقد نقل أيضاً الشيخ علي القاري في « شرح المشكاة » (٢/١٣٧) : إجماع السلف والخلف على أنّ من اعتقد أن الله تعالى في جهة فهو كافر كما صرّح به العراقي وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني اهـ ولا يخفى أنّ اعتقاد الجهة نوع من التجسيم .

وقال الإمام القرطبي في التذكار صحيفة (٢٠٨) : « والصحيح القول بتكفيرهم ـ المجسمة ـ إذ لا فرق بينهم وبين عُبَّاد الأصنام والصور » اهـ .

وجزم الإمام النووي في « المجموع » (٤/٢٥٣) بتكفير المجسمة وهو

مذهب الشافعي رحمه الله تعالى .

وأما رد الإمام أحمد على المجسمة والمشبهة فمنقول في (دفع شبه التشبيه) لابن الجوزي الحنبلي ، وكتاب (مرهم العلل المعضلة) لليافعي بتوسع .

والإمام الطحاوي الذي أرادوا أن يشوّهوا عقيدته يقول في أولها : « اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن » ، وهؤلاء من أئمة السلف كما لا يخفى ثم قال فيها : « وتعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ، لا تحويه الجهات الست كسائر المبدعات » اهـ[٥٧] .

أقول : وقد اتّضح بهذا كله مذهب أهل السنة والجماعة واتَّضح أيضاً حكمهم على أهل الزيغ من المشبهة والمجسمة ، وأن أصل التشبيه والتجسيم أسسه في هذه الأُمة ابن كرّام السجستاني صاحب العقائد الزائغة، وأنّ الأُمّة أكفرته وأكفرت من قال بمقالاته المنحرفة ، وأن من جملة مقالاته الكفرية : قوله بالحد في حق الله تعالى ، وقوله بالجسمية لله تعالى ، وأن الله تعالى يماس عرشه من جهة السفل لأنه فوق العرش ، ويجدر التنبيه هنا إلى أن أهل السنة يقولون بأن الله تعالى فوق العرش لكن فوقية من جهة المعنى لا من جهة الحس[٥٨] ، أي أنّ الله تعالى فوق خلقه فوقيه قهر

---

(٥٧) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، بتخريج الألباني ، وتوضيح الشاويش ص (٢٣٨) الطبعة الثامنة .

(٥٨) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الفتح » (٦/ ١٣٦) : « لأن وصفه تعالى

وربوبية على عبودية ، ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** ﴾ الأنعام : ٦١ ، وقد أجمع أهل السنة على تنزيه الباري سبحانه عن المكان كما هو معلوم ، ولكن ابن كرّام قال بالفوقية الحسية والمكانية ، فأكفره أهل السنة ومن تبعه على ذلك، ثم قال : إن الله تعالى محل للحوادث ، أي جوّز قيام الحوادث بذات الله سبحانه ، تعالى الله عن هذا الكفر الصريح و ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ الصافات :١٨٠ ، ومرادنا من ذلك كله بيان أن أدعياء توحيد الأسماء والصفات قائلون بذلك ومنهم ابن أبي العز صاحب شرح الطحاوية ، وإليك إثبات ذلك :

١ ـ أمّا قول شارح الطحاوية المشار إليه بحوادث لا أوّل لها ، أو بقدم نوع الحوادث والمخلوقات ففي ذلك الشرح صحيفة (١٢٩ من الطبعة الثامنة) :

« فالحاصل أنّ نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا ؟ أو في المستقبل فقط ؟ أو الماضي فقط ؟ فيه ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم : **أضعفها** قول من يقول : لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل ، كقول جهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف .

وثانيها : قول من يقول : يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي ، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم .

والثالث : قول من يقول : يمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما

بالعلو من جهة المعنى ، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس » فانظره .

يقوله أئمة الحديث » اهـ .

فانظر كيف نسب الكفر الصريح إلى أهل الحديث فقال إنهم يقولون إنّ الحوادث وهي المخلوقات يمكن أن تكون دائمة في الماضي ، ومعناه قديمة النوع حادثة الأفراد وأهل الحديث برآء من ذلك بلا شك ، وقد نص القرآن الكريم على بطلان ذلك في آيات كثيرة كما لا يخفى ، وكذا السنة المطهرة إذ نص فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بطلان ذلك ، ففي البخاري : « كان الله ولم يكن شيء غيره » [٥٩] وأجمعت الأُمة على أنَّ الحوادث قبل حدوثها لم تكن أشياء ولا أعيان ، كما نقل ذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي في الفرق[٦٠] وقال الأستاذ أبو منصور أيضاً :

« وقد زعم البصريون من القدرية أنَّ الجواهر والأعراض كانت قبل حدوثها جواهر وأعراضاً ، وقول هؤلاء يؤدي إلى القول بقدم العالم ، **والقول الذي يؤدّي إلى الكفر كفر في نفسه** » اهـ يعني أنّ القول بقدم الحوداث لا شك أنه كفر .

وكذلك نص على هذا الإجماع المؤيد بقول الله تعالى ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ** ﴾ ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع ، حيث قال في آخره :

« **باب من الإجماع في الاعتقادات ، يكفر من خالفه بإجماع** :

---

(٥٩) انظر « فتح الباري » (١٣/ ٤١٠) .

(٦٠) انظر « الفرق بين الفرق » ص (٣٣٢) وانظر أيضاً ص (٣٢٨) .

اتفقوا أنّ الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره ، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء ، وأنّ النفس مخلوقة ، والعرش مخلوق ، والعالم كله مخلوق » اهـ[٦١] .

ثم بعد هذا كله أُحكم على ابن أبي العز المنسوب لأهل الإثبات ولأهل الحديث وللحنفية غلطاً ولمن تبعه وقال بمقالته ونشر كتابه بين العامة وخرّج أحاديثه مادحاً كتابه بما تراه مناسباً ! ولا سيما إذا عرفت أيضاً أنه قال [صحيفة (١٣٣) من شرح الطحاوية الطبعة الثامنة بتخريج الألباني وتوضيح الشاويش] :

« والقول بأن الحوادث لها أوّل ، يلزم منه التعطيل قبل ذلك وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلاً » اهـ .

نعوذ بالله تعالى من هذا الهذيان ما أشنعه ، ومن هذا الرجل ما أَجرأه ، وكيف يُشَنِّعُ على المتكلمين ثم يأتي بأصول الشناعات !!

ثم هو رَدَّ صريح الكتاب والسنة والإجماع ، وتأوّل لذلك بالباطل كما ترى ، فأين ذهب ذمه للتأويل وللمتكلِّمين ولعلم الكلام الذي تشدق به أول ما يقرب من عشرين صحيفة من كتابه وحيثما سنحت الفرص ، لكن كما قالوا : رمتني بدائها وانسلّت .

ثم انظر إلى قوله صحيفة (١٣٥) من الطبعة الثامنة مبرهناً على حوادث لا أوّل لها ، رادّاً رواية « كان الله ولم يكن شيء معه » ورواية « ولم يكن شيء

---

(٦١) انظر مراتب الإجماع المطبوع مع نقد مراتب الإجماع ص (١٦٧) .

غيره » مثبتاً رواية « ولم يكن شيء قبله » ليستدلّ بها على حوادث لا أوّل لها حيث قال : « وقد أجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ــ أي الأشعريين ـ عن بدء هذا العالم الموجود لا عن جنس المخلوقات ، لأنهم لم يسألوه عنه » اهـ يعني أنّه قبل هذا العالم الموجود الآن كان هناك عالم آخر ، يعني أنَّ العالم قديم النوع أزلي ، حادث الأفراد ، وهي مقالة متأخّري الفلاسفة ، وقد قال العلماء سابقاً :

بثلاثةٍ كَفَرَ الفلاسفةُ العِدا ... في نفيها وهي حقيقاً مُثْبَتَهْ
علمٌ بِجُزْئيٍّ حدوث عوالم ... حَشَرٌ لأجسادٍ وكانت مَيّتهْ

ونكتفي بهذا القدر الذي ذكرناه من الكلام على نقطة حوادث لا أوّل لها ، ولنعرض أمراً آخر من تلك الطامّات فنقول :

٢ ـ قال ابن أبي العز في شرحه مثبتاً أن كلام الله تعالى حروف وأصوات ، وأن الله تعالى يتكلم إذا شاء ويسكت متى شاء !! وهو المفهوم من كلامه ، ومن اللازم القريب لكلامه[٦٢] : « إنّ الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء ، وهو يتكلم به بصوت يُسْمَع ، وأَنّ نوع الكلام قديم وإنْ لم يكن الصوت المعين قديماً ، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنّة » اهـ[٦٣] وفي هذا الكلام الخطير والفلسفة الزائدة في

---

(٦٢) بل صرح بذلك ـ أي بصفة السكوت ـ ابن تيمية إمَامُهُ ، أُنظر الموافقة على هامش منهاجه (٢/ ٣٨) .

(٦٣) انظر « شرح الطحاوية » ص (١٦٩) واعلم أنّ أئمة الحديث والسنة براء من هذا كالذي قبله ، وهو رميهم واتّهامهم بأنهم يقولون بحوادث لا أوّل لها .

الخوض في ذات الله تعالى وصفاته التي يـذم بها هـؤلاء علماء الكـلام ، إثبات قيام الحوادث بذات الله تعالى عما يقولـون ، وقـد تقـرر عنـد أهـل العلم أنّ ما قام به الحادث فهو حادث ، وقد كَفَّرَ علمـاءُ الإسـلام الكرّامية لأُمورٍ منها هذا القول كما نقلناه فيما مضى أوّل هـذه العجالـة ، وقـد أثبـت ذلك ابن أبي العز وحاول الدفاع عنه ، فقال صحيفة (١٧٧) منها :

« فإذا قالوا لنا : فهذا يلزم أنْ تكـون الحـوادث قـامت بـه ، قلنـا : هـذا القول مجمل ، ومَنْ أنكر قبلكم قيام الحوادث بهـذا المعنـى بـه تعـالى مـن الأئمة ؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك ، ونصوص الأئمة أيضـاً مـع صريح العقل » اهـ ويكفي في رد ذلك عرضه للقارئ(٦٤) .

واستدل لهذه العقيدة الفاسدة بحديث موضوع فقال صحيفة (١٧٠) :

[قال رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم : « بينـا أهـل الجنـة فـي نعيمهم إذ سطع نور ، فرفعوا أبصارهم ، فإذا الرب جـلَّ جلالـه قـد أشـرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكـم يـا أهـل الجنـة ، وهـو قـول اللـه تعالى : ﴿ **سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ** ﴾ يس : ٥٨ ، فلا يلتفتون إلى شيء ممـا هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهـم ، وتبقـى بركتـه ونوره » رواه ابن ماجه » اهـ .

---

(٦٤) علماً بأن هذا النـص منقـول مـن « منهـاج السـنة » (١/ ٢٢٤) للشـيخ الحرانـي فشـرح العقيـدة الطحاويـة هـي تلخيـص لـِ « منهـاج السـنة » ولـِ « موافقـة صريـح المعقول » !! ولذلك يركزون عليها ويحرصون على نشرها !!

قلت : في إسناده أبو عاصم العبّادني واسمه عبد الله بن عبيد الله ، قال عنه الذهبي في « الميزان » (٢/٤٥٨/٤٤٣٧) : « واهٍ » . وهو واعظ زاهد إلا أنه قدري اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (٣/ ٣١٤) الطبعة الهندية : [وأورد له العقيلي عن روايته عن الفضل الرقاشي عن ابن المنكدر عن جابر : « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور » الحديث ، وقال لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به] اهـ ، وانظر الضعفاء الكبير للعقيلي (٢/ ٢٧٤) .

وأما الفضل الرقاشي الذي يروي عنه أبو عاصم فهو منكر الحديث كما قال الحافظ في التقريب : (برقم ٥٤١٣) ، وفي « الكامل في الضعفاء » لابن عدي (٦/ ٢٠٣٩) : « قال البخاري عن ابن عيينه ليس أهلاً أن يُروى عنه » اهـ ، ولذلك أورد هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات وقال : « الفضل رجل سوء » اهـ، فانظر كيف استدلّ ابن أبي العز على عقيدته بهذا الحديث الموضوع والله تعالى المستعان !

ولم أذكر جميع بلياته في هذا الباب وإنما أشرت إلى بعضها وإنْ سنح الوقت مستقبلاً سأذكرها جميعاً وأردُّ عليها إنْ شاء سبحانه ، وفيما ذكرنا الآن كفاية .

٣ ـ قال ابن أبي العز مثبتاً الحدَّ لذات الله سبحانه وتعالى عن ذلك صحيفة (٢١٩) ما نصه :

« فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في الأمر أصلاً ، فإنّه

ليس وراء نفيه إلاّ نفي وجود الرب ونفي حقيقته[٦٥] » اهـ .

فإنه بهذه العبارة أَثبتَ الحدَّ لذات الله تعالى ، فقال بما قال أهـل الزيـغ من قبل : « مَنْ نفى الحد عن الله تعالى أخبر بعدم الرب سبحانه » وهـؤلاء الأصل عندهم الجسمية فلما تخيلوا أنَّ المولى سبحانه عما يتخيلون جسـماً أجروا عليه أحكام الأجسام ، فالجسم متى لم يكن له حَدّ كان عدماً وكذلك تخيلوا الباري سبحانه .

وقولهم لأهل السـنة : « إنّكـم إذا نفيتـم الحـدَّ سـاويتم ربكـم بالشـيء المعدوم » ، تَكَفَّلَ بردّه الحافظ ابن حجر العسقلاني في « لسـان المـيزان » (٥/ ١١٤) حيث بَيَّنَ أنّ قول المجسمة هذا قول نازل ساقط لا عبرة به فقال :

« وقوله (قال له النافي ساويت ربـك بالشـيء المعـدوم إذ المعـدوم لا حد له) **نازلٌ** ، فإنّـا لا نُسَـلّم أنّ القـول بعـدم الحـد يفضـي إلـى مسـاواته بالمعدوم بعد تحقق وجوده » اهـ .

وقدّمنا في أوَّل هذه الرسالة تكفير الأُمة للمجسمة ولابن كرّام في قولـه بالحَدِّ ، وقال الإمام أبو منصور البغـدادي فـي كتابـه « الفـرق » ص (٣٣٢) :

---

(٦٥) علماً بأن الطحاوي يقول في المتن : (وتعالى عن الحدود والغايات) والألبـاني يحاول أن يشكك في كلام الطحاوي هذا في تعليقاته على الطحاوية ص (٢٩) نقـلاً عن ابن مانع فيقول بأنّـه لا يُستبعد أن يكـون هـذا مدسوسـاً علـى الطحـاوي . وهـذا تشكيك فارغ باطل لا التفات إليـه ، وإذا كـان هـذا حقـاً فمتـن الطحاويـة وشـرحه لا يستبعد أيضاً أن يكون بجملته مدسوساً من أعداء الإسلام .. الخ .

« إن أهل السنة اتفقوا على نفي النهاية والحد عن صانع العالم خلافاً للهشامية والكرامية المجسمة » اهـ .

وكلام ابن أبي العز قبل العبارة التي نقلناها وبعدها كلُّه تمويه على الناس لترويج بضاعته وإقناع المغفلين بها ، فهو تارة يكذب على الإمام عبد الله بن المبارك : فينقل عنه زوراً أنه قال بالحَدّ ، ولو قال به فهو مردود عليه[٦٦] ، **لأنَّ الكُفْرَ كفرٌ كائناً من كان الناطق به والزيغ زيغ كائناً ما كان مصدره** ، وليس في الإسلام دين يختلف باختلاف الأشخاص فالإيمان إيمان مطلقاً والكفر كفر مطلقاً فما جاء في الكتاب والسنة ثبوته مجملاً أو مفصلاً أثبتناه وما نفاه الكتاب أو السنة مجملاً أو مفصلاً نفيناه ، والمعصوم هو السنّة والإجماع كما هو مقرر عند أهل السنة ، وتارة ينفي ابن أبي العز الحَدَّ ، محتجاً بأنْ للحَدِّ معاني كثيرة كقوله ص (٢١٩) : « وأما الحد بمعنى العلم والقول وهو أن يحدّه العباد ، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة » اهـ .

فانظر إلى هذا الروغان ما أشنعه وأقبحه ! فَلِمَ هذا التخبط وهذه الفلسفة التي لا معنى لها ؟ لا شك أنّ ذلك كله لقلب الحقائق ، ولترويج عقيدة الزيغ وإقناع الناس بها ، وأهل السنة والجماعة عندما أجمعوا على نفي الحَدِّ عن الباري سبحانه وأكفروا من قال به لم يقل أحد منهم من أثبت

---

(٦٦) أو هو مؤوّل كما ذكره البيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٤٢٧) بتحقيق الإمام المحدّث الكوثري . وقد بَيّنْتُ ذلك بوضوح في رسالتي « التنبيه والرد على معتقد قدم العالم والحد » .

الحد بمعنى كذا جاز ومن أثبته بمعنى كذا لم يجز ، وإنّما قالوا : « **وأما جسمية خراسان من الكرّامية فتكفيرهم واجب ، لقولهم بأنَّ الله تعالى له حد ونهاية** .. » الخ كما تقدَّم في هذه الرسالة عن الشيخ عبد القاهر البغدادي .

٤ ـ وأما مسألة الجهة فابن أبي العز ممن يقول بها ويقاتل من أجلها قتال مستميت ، فانظر كيف يراوغ حيث يقول صحيفة (٢٢١) من شرح الطحاوية :

« وأما لفظ الجهة ، فقد يراد به ما هو موجود ، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق » اهـ .

فانظر كيف قاس الخالق على المخلوق ، ومعنى كلامه : أي كما أن المخلوق في جهة فكذا الخالق في جهة بجامع الوجود لكل منهما ، ولا شك أن هذا قياس وثني فاسد قطعاً .

ثم قال ابن أبي العز في نفس الصحيفة ما نصه : « وإن أُريد بالجهة أمر عدمي ، وهو ما فوق العالم ، فليس هناك إلاّ الله وحده ، فإذا قيل إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح » اهـ .

فقد قرر بأنّ الله تعالى في جهة ما فوق العالم ، وهذا المكان الذي عيّنه للمولى سبحانه وتعالى عن هذيانه ، سمّاه بالمكان العدمي أو بالأمر العدمي، وإنّي استغرب جداً كيف يكون لمعبوده مكان يشار إليه بالإصبع كما جاء في حديث الجارية الذي يتشدقون به ثم كيف يكون هذا المكان

عدماً ؟ وهل يشار للعدم ؟!

ولا يخفاك أخي المؤمن أنّ أهل السنة أجمعوا على تنزيه الله تعالى عن المكان لدلالة الكتاب والسنة المصرحة بذلك .

وقد نص ابن أبي العز في سلسلة أغلاطه أيضاً زيادة في نغمة طنبوره في رأس صحيفة (٢٢١) : أنّ الجهات لا نهاية لها . اهـ ومعنى ذلك أنّه لا حَدَّ لها ، فجعل للخالق حداً ونزّه المخلوق عن الحد فسبحان قاسم العقول الوهاب !!

مع أنّ أهل السنة كما قال الشيخ البغدادي في « الفَرْق بين الفِرَق » ص (٣٣٠) : « أجمعوا على أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها ، وكذلك السماء متناهية الأقطار من الجهات الست ، خلاف قول الدهرية » اهـ .

ثم اعترض ابن أبي العز على الإمام الطحاوي في تنزيهه الله تعالى عن الجهات فقال ص (٢٢١) : « لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات ، هو حق ، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته » اهـ . فأَوَّلَ كلام الطحاوي حسب مراده ، لينفي أن الإمام الطحاوي يقول بهذا !! فاعترض عليه لينفي ما تبقى من احتمال ذلك على زعمه فقال في نفس الصحيفة :

« لكن بقي في كلامه شيئان ، أحدهما : أنَّ إطلاق مثل هذا اللفظ مع ما فيه من الإجمال والاحتمال كان تركه أولى ، وإلاّ تسلّط عليه وأُلزم بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية ونفي **جهة العلو** » اهـ !!

وإليك بعض عقائد الكرّاميّة أيضاً المندرجة في كلام ابن أبي العز في شرح الطحاوية :

٥ ـ قال صحيفة (٢٨٢) : « فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سمواته ؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه ؟ فمن نفى ذلك لم يقدّره حق قدره » اهـ .

٦ ـ قوله صحيفة (٢٨٦) : « الثاني عشر : التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ، والنزول المعقول عند جميع الأُمم إنما يكون من علو إلى سفل ، الثالث عشر : الإشارة إليه حساً إلى العلو ، كما أشار إليه من هو أعلم بربه » اهـ .

وذكر قبل ذلك وبعده أدلة بزعمه دالّة على هذا العلو الحسي ، والمعبر عنه أحياناً بفوق وبذاته وبجهة السماء .. الخ . ولا أدري أين ذهب بقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ البقرة : ١٨٦ ، وبقوله تعالى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ** ﴾ الواقعة : ٨٥ ، وقوله : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** ﴾ الحديد : ٤ ، وقوله : ﴿ **وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** ﴾ الأنعام : ٣ ، وقوله : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ ق: ١٦ ، وغير ذلك من الآيات[٦٧] ، ومن الحديث قوله صلى الله عليه وآله

---

(٦٧) وإذا كانت تلك الآيات التي أوردها قرآناً وهذه الآيات أيضاً قرآناً فما الذي أوجب اعتقاد ظاهر تلك دون هذه ؟!

وسلم : « أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » رواه مسلم (١/ ٣٥٠) ، وقوله أيضاً : « اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل » رواه الترمذي (٥/ ٤٩٧) وقال : حديث حسن صحيح اهـ وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة .

وإذا كان يؤوّل هذه النصوص الموهمة للحلول فما أجدره أيضاً أن يؤوّل تلك النصوص الموهمة للتجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه ، عند المغفلين الذين لا يعرفون أصول عقيدة الإسلام التي منها تنزيه الله سبحانه عن مشابهة خلقه ، المعبر عنها بقول العلماء : كلُّ ما خَطَرَ ببالِكَ فاللَّهُ تعالى بخلاف ذلك ، المأخوذ من قوله سبحانه : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ الشورى:١١، ومن قوله : ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ الإخلاص : ٤ ، ومن قوله : ﴿ **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ** ﴾ النحل : ١٧ .

٧ ـ والقول بالجهة والفوقية الحسية يفضي إلى القول بأنّه خارج العالم على العرش بذاته كما يقول أهل التجسيم ، أو داخل العالم في السماء حساً لا معنى كما يقول الحلوليون وكلا القولين باطل ، فقد أجمع المسلمون على أنّ الله تعالى مُنَزَّه عن المكان يعني أنه لا تُعَيَّنُ له جهة كالمخلوق فيقال إنه مستقر فيها وحالٌّ بها فقول الحلولية : إنه في كل مكان باطل ، وقول المجسمة : إنه فوق العالم خارج عنه فوق العرش حِسًّا باطل أيضاً ، لأنّ هذا يلزم منه وصفه سبحانه بالاتصال أو الانفصال ووصفه بأنه خارج أو داخل العالم ، وكل ذلك باطل لأنهم بنوا ذلك على ما أصّلوه وهو الجسمية، فوصفوه بأنه خارج العالم ، لتثبيت عقيدة الزيغ واقناع الناس بها

ولذلك صرّح أهل السنة والجماعة بأنَّ الله سبحانه لا يوصف بأنّه خارج العالم ولا داخله لأن هذا نوعٌ من إدراك الخالق والله سبحانه لا يحيط به أو يدركه أحد من خلقه ، وهؤلاء يريدون أن يدركوه وأن يعيّنوا له مكاناً فـ ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ الصافات : ١٨٠ ، لذلك قال ابن أبي العز في شرحه ص (٢٢٢) : « ولا نظن بالشيخ ـ يعني الطحاوي ـ رحمه الله أنّه ممن يقول إن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه بنفي التعيينين » اهـ .

وإليك بعض أقوال علماء الإسلام في ذلك :

– قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :

« الله تعالى مقدس عن المكان ، ومُنَزَّهٌ عن الأقطار والجهات ، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه ، قد حيّر عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته » اهـ الإحياء (٤/ ٤٣٤)[٦٨] .

– وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) :

« فإنَّ إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجَّه على حكمه لِمَ ولا كيف ، **كما لا يتوجَّه عليه في وجوده أين وحيث** » اهـ .

– وقال إمام الحرمين في « الإرشاد » ص (٦١) : « ثم نقول : إن سمَّيتم

(٦٨) وانظر أيضاً « شرح الإحياء » للزبيدي (١٠/ ١٨١) .

الباري تعالى جسماً وأثبتم له حقائق الأجسام ، فقد تعرضتم لأمرين : إما نقض دلالة حدث الجواهر ، فإنّ مبناها على قبولها للتأليف والمماسة والمباينة وإما تطردوها وتقضوا بقيام دلالة الحدث في وجود الصانع ، وكلاهما خروج عن الدين ، وانسلال عن ربقة المسلمين » اهـ .

- وقال الإمام الحافظ البيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٤١٠) :

« والقديم سبحانه عالٍ على عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين على العرش ، يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماسة والمباينة التي هي ضدها والقيام والقعود من أوصاف الأجسام ، والله عز وجل أحد صمد ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام تبارك وتعالى » اهـ .

وقال الإمام أبو المظفر الإسفراييني في التبصير (ص٩٧ بتحقيق الإمام الكوثري) :

« وأن تعلم أنّ الحركة والسكون ، والذهاب والمجيء ، والكون في المكان ، والاجتماع والافتراق ، والقرب والبعد من طريق المسافة والاتصال والانفصال ، والحجم والجِرْم ، والجثة والصورة والحيز والمقدار والنواحي والأقطار والجوانب والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى لأنّ جميعها يوجب الحد والنهاية » اهـ .

وقال الإمام النووي في « الروضة » (٦٤/١٠) ما نصه : « من اعتقدَ قِدَمَ العالم ، أو حدوث الصانع ، أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه

عالماً قادراً ، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان ، **أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافراً** » اهـ .

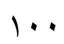
وقال الإمام المحدّث مُلاّ علي القاري في « شرح الفقه الأكبر » مُشَنِّعاً على ابن أبي العز هذا ، شارح الطحاوية ومشوهها ما نصه ص (١٧٢) :

« والحاصل أنّ الشارح يقول بعلو المكان مع نفي التشبيه وتبع فيه طائفة من أهل البدع » .. الخ اهـ . فانظره .

وقال العلامه القاري أيضاً صحيفة ١٧٢ : « ومن الغريب أنّه استدلّ على مذهبه الباطل برفع الأيدي في الدعاء إلى السماء » اهـ .

وقد عرضنا البعض اليسير مما في شرح الطحاوية من أخطاء مستشنعة مرفوضة في عقيدة الإسلام ، مُحَذّرين طلاب العلم والمدرسين في شتى المجالات من تدريسها ودراستها وتقريرها على الطلاب وموافقة ما فيها من الخطأ من باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « الدين النصيحة » وأرجو أنْ يعرف أهل العلم وطلاّبه ما هو المراد من توحيد الأسماء والصفات عند مَنْ يدعو إليه ، وأنّ المراد منه عند هؤلاء المتمسلفين ما رأينا من التجسيم وإقامة الوثنية التي حاربها الإسلام وجاء بهدمها .

وأن يدركوا ما كتنباه وقررناه من الأدلة الواضحة في إبطال تقسيم التوحيد إلى ربوبية وأُلوهية ، **وليكن هذا آخر كتابنا « التنديد بمن عدد التوحيد » فنسأله سبحانه حسن الختام والحمد لله رب العالمين ، وكان الفراغ من تصنيف أصل هذه الرسالة غير ما ألحقته بها ٥/ ربيع الأول / ١٤٠٧ هـ .**



الفهرس